



# مراجعة كتابات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

جمادى الآخر 1443هـ - ديسمبر 2021م

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من أشهر القصائد المتصلة بالعرب قصيدة «بلاد العرب» للشاعر الإنجليزي والتر ديلايمير Walter de la Mare (1873-1956). وهو قاص وروائي أيضاً، خاصة في مجال أدب الأطفال الذي حاز فيه على جوائز مرموقة. ورغم أقوال الرومانسية الإنجليزية كمدرسة أدبية، فإن النقاد يرون ديلايمير أحد التماذج الرئيسة للخيال الرومانسي في الأدب الحديث؛ إذ تسود في أعماله الأدبية التيمات الرومانسية المعروفة مثل الأحلام والموت والعالم الخيالية للطفولة والسعي وراء السمو. ولهذا انتقد الشاعر الحدائي الشهير تي إس إليوت قصيدة ديلايمير «بلاد العرب»؛ لكونها منفصلة عن «العالم الحديث». يقول إليوت «إنه عندما تنتهي من قراءة مثل هذه القصيدة، وتنظر حولنا في المدن الصناعية، نشعر بأننا كنا لفترة طويلة في أرض الأحلام. لذلك، فإن مثل هذا الشعر ليس شعراً من عالمنا الحقيقي- العالم الحديث- إن مثل هذا الشعر ليس ما نتوق إليه نحن عشاق الشعر».

نشر ديلايمير قصيدة «بلاد العرب» في ديوانه الثاني The Listeners عام 1912. وقد اشتهرت هذه القصيدة - رغم رأي إليوت النابع من توجهه الحدائي- اشتهاراً واسعاً؛ إذ أصبحت تتصدر معظم كتب أدب الرحلات المتصلة باليمن وعمان والجزيرة العربية بشكل عام. يذكر الرحالة البريطاني بيرترام توماس مثلاً في أكتوبر 1930، أنه أبحر من مسقط إلى ظفار يحمل في رأسه الحلم السرى بعبور الربع الخالي، وعلى متن السفينة جرنديير Grenadier ترك قبطان السفينة «تعويذة» له، وحين فتحها تحت ضوء القمر، اكتشف أنها كانت قصيدة والتر ديلايمير «بلاد العرب»! كما أن الروائي البريطاني هاموند إنس صدر بها روايته «الواحة الزاهية» المنشورة عام 1960 والتي تدور أحداثها في عُمان.

ترجم الشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب قصيدة «بلاد العرب» إلى العربية سنة 1955 ضمن كتابه «قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث»، ورغم جودتها فإنها ترجمة ثرية، وأصل القصيدة موزون حسب العروض الإنجليزي؛ ولذلك أثرت ترجمتها تفعيلياً من بحر المتدارك.

(بلاد العرب)

ناثية الظل بلاد العرب،

حيث الأمراء تقيل على صهوات الخيل،

بين خمائلها والوديان الخضراء

تحت القمر الباهت كالطيف،

وداكئة قبتها كأقحاص منتهب،

أزهار تتطايّر في الغابات،

براعمها تتمايل مثل نجوم الظهر

وباهتة كالأشباح.

ما أخلى موسيقى أرض العرب

بقلبي، وأنا في غيبش الفجر الصافي

أكتشف جداولها المنسابة من أرض الأحلام؛

وأضغي لمزاهرها العذبة فوق ضفاف خضراء

تدوي برنين البهجة والأحزان،

يعزفها موسيقيون شباب وأيقون،

في صمت الليل الجاثم.

إني مأخوذ بمزاهرها وخمائلها،

هل في الأرض جمال

إلا وظلال من تلك الأحلام

تجدد لي فنتته ورواه؟!

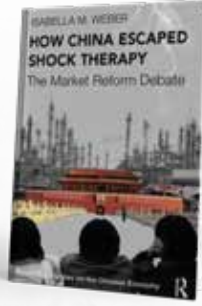
ستظل الأعين ترمقني ببرود،

والأصوات الفاترة تهامس قائلة:

«مجنون ببلاد العرب

سحرتك

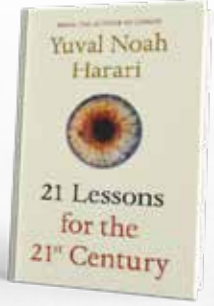
تركتك بلا أرب».



كيف أفلتت الصين..  
إيزابيللا ويبر



اللاوعي أو التاريخ المنسي  
هيرفي مازوريل



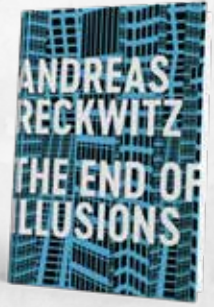
واحد وعشرون درساً..  
يوفال نوح هاراري



دون تمييز بالدين والعرق  
أريئيلا بوبر- جفعون ويعيل كيشت



حوارات  
في. دي. ساتيشان



نهاية الأوهام..  
أندرياس ريكفيتز



الدين والمجتمع المدني..  
ياسين أقطاي



مرحباً يا غريب..  
ويل باكينغهام



رأس المال الرقمي..  
ماسيمو راجنيدا وماريا لورا رويو



برهان المستقبل..  
كيفن روز

## إصدارات عالمية جديدة





## واحد وعشرون درسا للقرن الواحد والعشرين

### ديانا دارك

محمد الشيخ \*

تتوارد أفكار فيلسوف ومفكر استراتيجي ومؤرخ لكي تستخلص العبرة من القرن العشرين وتشغل بالها بالقرن الواحد والعشرين. ذلك أنّ القرن العشرين شهد على قدر كبير من تسارع التحولات؛ ما جعل المخضرمين من أهله ومن أهل القرن المقبل يفكرون في مستقبل البشرية. فأما الفيلسوف، فهو كارل بوبر صاحب كتاب «درس هذا القرن» (1992). وأما المفكر الإستراتيجي، فهو بول كيندي صاحب كتاب «تهييء القرن الواحد والعشرين» (1993). وأما المؤرخ، فهو يوفال نوح هاراري صاحب كتاب: «واحد وعشرون درسا [عبرة] للقرن الواحد والعشرين (2018)».

الآن، فإن تضامنا الاجتماعي والسياسي سوف ينهار انهياره. وقد بدأ الناس يشعرون بذلك، وطفقوا يفقدون الثقة في مروية الليبرالية.

#### باب التحدي السياسي

الدرس الخامس: الجماعة

إنما للبشر أجساد

لقد تفسخت الكثير من الجماعات وتأثرت حياة الجماعة . القوم . بذلك وفقدت حميمية الجماعة أمام عمومية وهلامية وخلصية الحشد العمومي (الجماعات المتخيلة، الأمم المتحدة، الأحزاب ...)؛ مما عزز التوحد والانعزال في عالم متشابك. وقد تنامت الجماعات الافتراضية على حساب الواقعية. لكن، يذكرنا المؤلف بأن لنا أجسادا، وأن التكنولوجيات أبعدتنا عنها وعزلتنا عن محيطنا القريب وعن حواسنا . بما جعلنا غرباء عن بعضنا البعض ومستلبين. ذلك أن وسائل التكنولوجيا الحديثة ألهتنا عن أجسادنا حتى ما عاد لنا ذوق ولا سمع، وما أمسى الواحد منا يأبه إلى أقرب إنسان إليه. وما كانت هذه الشكوى لتتم عن حين إلى زمن المعتقدات الجماعية والروابط القومية؛ إذ عاش البشر ملايين السنين من دون أديان ولا قوميات، ويمكنهم أن يعيشوا من دونها، وإنما هو عبء؛ لئن أنت لم تشعر أنك تسكن في جسدك، فلن تشعر أنك تسكن في العالم.

الدرس السادس: الحضارة

لا توجد إلا حضارة واحدة في الدنيا

مهما تكن التغيرات التي تنتظرنا مستقبلا، فإنها لا شك تشي بصراع أخوي داخل حضارة واحدة أكثر مما تشي بصدام بين حضارات غريبة عن بعضها البعض. ذلك أن تحديات القرن الواحد والعشرين سوف تكون تحديات عالمية: تغير المناخ، التحدي التكنولوجي ... إنما واقع الأمر يشهد على التشابك بدل التعازل، وعلى التعالق عوض الاستقلال. ولئن حُق أن البشرية لا تشكل جماعة منسجة، فإنه يحق أيضا أننا كلنا أعضاء في حضارة واحدة.

الدرس السابع: القومية

من شأن المشاكل الشاملة والعالمية أن تتطلب حولا كونية لا قومية كلا؛ ما كانت القومية مكونا طبيعيا وأبديا من مكونات نفسية البشر، ولا كانت هي منغرس في بيولوجيا الإنسان. إنما شأن التعالق أن يحدث بين جماعات صغرى (الأُسرة، العشيرة)، وليس شأنه أن يقع بين قوميات كبرى. واليوم، توجد أمام البشر تحديات أكبر من القوم: التحدي النووي، والتحدي الإيكولوجي، والتحدي التكنولوجي ... وكلها تحتاج إلى الكون لا إلى القوم، وتقتضي تظافر جهود العالم لا انعزال الأمم.

أوروبا أن تترك أبوابها مشرعة للمهاجرين؟ وهل يمكن للقومية أن تحل مشاكل التفاوت والتغير المناخي؟ وما الذي يمكن أن نقوم به إزاء الإرهاب؟

#### باب التحدي التكنولوجي

الدرس الأول: انقشاع الوهم

تم تعليق نهاية التاريخ إلى أجل آخر

نحن نحيا اليوم لحظة عدمية تتمثل في انقشاع وهم أن الليبرالية هي مستقبل البشرية، دون أن تظهر بدائل مقنعة عنها؛ وذلك بعد أن فقد البشر الإيمان بالرويات العتيقة، وقبل أن يتبنوا مرويات جديدة. ترى، ما الذي سيأتي بعد؟ أول خطوة تتمثل في الحد من انتشار النبوءات المستشرية، والإعراض عن الفرع والحيرة والتوجس.

الدرس الثاني: الشغل

عندما سوف تكبر قد لا تحصل على وظيفة

أمام تحولات عالم الشغل . إذ أمسينا نعيش فعلا في عالم ما بعد الشغل . وتذمر الإنسان المعاصر من هذه التحولات التي أنتجت العديد من الضحايا (انعدام المساواة، غياب الحركة الاجتماعية)، وحقنه على الأثرياء الكبار، وفقدانه الأمل في المستقبل؛ يذكرنا المؤلف بأنه كلما تحسنت الأوضاع ازدادت الانتظارات وكبرت معها خيبات الأمل. لكن الأمر الذي يدعو إلى القلق حقا هو انفلات السلطة من يد البشر إلى الخوارزميات (الحساب الآلي)؛ بما سوف يؤدي إلى تدمير ما تبقى من إيمان في المروية الليبرالية، ويفتح المجال أمام بروز ديكتاتورية رقمية وحسابية.

الدرس الثالث: الحرية

المعطيات الكبرى تراقبكم

من شأن الديكتاتورية الرقمية أن تؤدي إلى أمرين: فقدان البشر الحرية، وتنامي عدم المساواة بينهم. والحرية والمساواة هما القيمتان اللتان لطالما دغدغت بهما الليبرالية مشاعر الناس. فعالم خوارزميات المعلومات والمعطيات قد يطفئ جذوة الحرية، كما قد يخلق أكبر المجتمعات تفاوتات ما وجد لها نظير من قبل. وكل السلطات قد تتركز في يد نخبة قليلة؛ حيث سوف يعاني معظم البشر لا من الاستغلال وإنما من صيرورتهم بلا جدوى، فضلة لا يصلحون لشيء.

الدرس الرابع: المساواة

من شأن من يملك المعلومة أن يملك المستقبل

من أعظم أسئلة زماننا السياسية التي تطرح التحدي الأكبر سؤال: كيف ننظم امتلاك المعلومة؟ فإن نحن لم نكن نقدر على الجواب

والحال أنه أتى وجد الإنسان. أي الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل. كان شغل هاراري الشاغل: من كتابه عن «الإنسان العارف» (2014)، الذي عني بماضي الإنسان الحديث الأول، إلى كتابه عن «الإنسان المتأله» (2016)، الذي اهتم بإنسان المستقبل، فألى كتابه عن عبر القرن الواحد والعشرين (2018)، الذي خصه للإنسان الحاضر. والحال أن هذا الكتاب، كما وصفه صاحبه، أشبه شيء يكون بسفرة فكرية يتجول بنا مؤلفه في ردهات أسئلة عاجلة ومصيرية.

في تقديمه للكتاب، يبدأ المؤلف بملاحظة أن مشاكل العالم شائكة ومتشابكة، وأن الوضوح فيها، مع ذلك، قليل نادر. وبحسابه مؤرخا، فإنه يرى أنه يتوجب عليه أن يحرص على الوضوح في طرح القضايا أكثر من أي شيء آخر. ولهذا، يعتبر ما قام به في هذا الكتاب من إيضاح إنما هو ضرب من المساعدة لغير المتخصص على فهم ما يجري، وقد زوده بما اعتبره مفاتيح لفهم عالم معقد. هو ذا رهانه في هذا الكتاب: إن هو نجح في ذلك يكون أنها قد قام بمهمته على الوجه المقبول.

ثم يذكرنا المؤرخ بمسار مؤلفاته: في كتابه عن الإنسان الأول، بمعناه الحديث، كان قد ألقى نظرة مجملة على ماضي البشرية، موضحا كيف أن كائنا حيا بلا قيمة تذكر. الإنسان . هو من أمسى حاكم كوكب الأرض. وفي كتابه الثاني عن الإنسان المتأله فحص مستقبل الحياة على المدى البعيد، متأملا في كيف يسمي البشر أربابا، وما الذي سيؤول إليه المصير النهائي للذكاء والوعي البشريين. ويرى أنه في هذا الكتاب المائل أمام أعيننا سوف يركز على «هنا» و«الآن» . الحاضر . وذلك بالتنبيه على المسائل الجارية اليوم والمستقبل القريب للمجتمعات البشرية. ووجه التخالف بين هذا الكتاب وسابقه أنه لا يسرد مروية تاريخية، وإنما يستخلص دروسا وعبرا منتقاة. وما كانت الأجوبة التي يقدمها بالأجوبة النهائية، بقدر ما هي مدعاة إلى الاستحاثات على مزيد تفكير. وقد كتب هذا الكتاب أصلا بدءا من أسئلة كان قد وجهها إليه جمهور القراء، فضلا عن الصحافيين والزملاء. وهي أسئلة متعددة المشارب: بعضها في التقنية، وبعضها في الدين، وبعضها في السياسة، وبعضها في الفن ... بعضها يحتفي بالحكمة الإنسانية، وبعضها يقرع الحمقة البشرية. ومدارها بكلها على أمر واحد: ما الذي يحدث في العالم اليوم؟ وما هو المعنى العميق للأحداث الجارية؟ وما الذي يمكن أن نفعله اتجاه الأنبياء الكاذبة؟ ولماذا تحيا الديمقراطية الليبرالية اليوم في أزمة؟ وهل ثمة من عودة للرب؟ وهل نحن مقبلون على حرب عالمية؟ وما الحضارة التي هي سائرة إلى أن تهيم على العالم: ترى، أهي حضارة الغرب أم الصين أم الإسلام؟ وهل على



## الدرس الثامن: الدين

لقد أمسى الرب اليوم يخدم الأمة وليس العكس

للأسف، باتت الأديان التقليدية جزءاً من مشكلة البشرية بدل أن تشكل جزءاً من حلها. فلا زالت لسلطان الأديان سطوة كبرى على السلطان السياسي. وقد استُغلت الأديان من لدن القوميات استغلالاً كبيراً، بما حد من دورها العالمي في مقاومة تهديدات الحرب النووية والانهييار البيئي والتحديات التكنولوجية. هي مشكلات تتطلب حلاً شمولياً كونياً، بينما أمسّت القومية والديانة تقسمان الحضارة البشرية إلى قسماطام متعادية.

## الدرس التاسع: الهجرة

يفترض أن بعض الثقافات أفضل من بعض

أكدت خفضت الهجرة من الفوارق الثقافية بين الأمم، لكنها خلقت أيضاً عدة مشاكل. والسؤال الجوهرى: هل تتم مناقشة مشكلة الهجرة من غير ادعاء أن كل الثقافات تتساوى، أم أنه لا بد من ادعاء علو كعب ثقافة على أخرى؟ إنما الموقف الأحق موقف بيني وبين النزعة العنصرية التي تقيم التراتبية بين الثقافات، والنزعة الثقافية التي لا تقيم أي تراتب. ذلك أنه مهما لجأ أصحاب الإحصاء إلى تبني الموقف الثقافى، يبقى أن الأفراد لا يخضعون بالضرورة إلى ثقافتهم. ولا بد من مناقشة هذا الأمر بأذهان منفتحة وبحدود مفتوحة. وكان مما طم الوادى على القرى الخوف من الإرهاب.

## باب اليأس والأمل

الدرس العاشر: الإرهاب

يا هذا، لا تفزع!

أفضل طريقة لمواجهة الإرهاب ما كانت هي التهوين ولا التهويل، وإنما فهمه فهماً جيداً والتحرك الخفى ضد شبكات تمويله. ومن ثمة، لا بد من المواجهة على ثلاث جبهات: على الحكومة أن تركز على الأعمال السرية ضد الإرهاب، وعلى وسائل الإعلام أن تُخبر من غير أن تتسبب في الهستيريا؛ لأن من شأن ذلك أن يخدم الإرهاب، وعلى الأفراد ألا يتخيلوا التخاييل عن الإرهاب وأن وراء كل شجرة يخفى إرهابي.

الدرس الحادي عشر: الحرب

ليس ينبغي أبداً التهوين من بلاهة البشر

لما هي كانت البلاهة صناعة بشرية مخصوصة، فإن البشر، على مستوى الأفراد كما على مستوى الجماعات، قابلون لأن ينخرطوا في أنشطة لتدمير ذواتهم. إنما البلاهة البشرية إحدى أهم القوى الفاعلة في التاريخ، وذلك على الرغم من التهوين منها. حتى أعقل الحكام قادرون على إتيان أبلد الأفعال. ومع ذلك، علينا أن نتفادى موقفين متطرفين: القول بأنه لا يمكن تفادي الحرب، والإيمان بأن الحرب أمر مستحيل. لا ضمانة على بلاهة. ولربما إحدى العلاجات: التواضع وعدم الانجرار إلى الإحساس بعظمة أمتي وديانتي وثقافتى ...

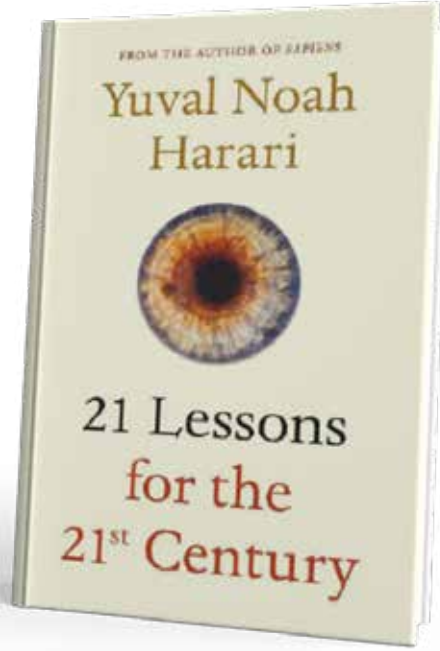
الدرس الثاني عشر: التواضع

وما كنت، يا هذا، مركز العالم

يميل معظم الناس إلى الاعتقاد بأنهم مركز العالم وبأن ثقافتهم أعلى ما ابتكرته البشرية. وهم يمزجون في ذلك بين جهل التاريخ والنزوع إلى العنصرية. والمطلوب اليوم أن يتشع الناس، في مختلف اعتقاداتهم، برداء التواضع الجماعي بدل الترفع القومي.

الدرس الثالث عشر: الرب

لا تَعَبْ يا هذا باسم الرب



ثمة تصور للرب بحسبانه مشرعاً للعالم. وذاك هو رب الصليبيين والجهاديين والغزاة وكارهي النساء وباغضي المثليين. لكن، لا ينبغي أن نستخدم اسم «الرب» لتبرير مصالحنا السياسية وطموحاتنا الاقتصادية وكراهاتنا الشخصية بتعلُّد أن الرب يريد ذلك. أو تريد، يا هذا، أن تعلن الحرب على جارك وأن تسرق أرضه؟ دع الرب خارج هذا واعثر لنفسك عن مُسَوِّغ.

الدرس الرابع عشر: الدونة

اعرف ظللك!

ما من عقيدة أدينية كانت أم دنيوية. إلا ولها ظلها الخفى. ومهما كانت عقيدتك، عليك أن تتعرف على ظلها. أي على وجهها المظلم. وأن تتفادى الثقة العمياء القائلة: «هذا ليس من فعلنا»، لا يمكن أن يحصل هذا. وللعلم، إذا ما هو قورن بالعقائد. على الأقل ميزة: يخاف دائماً من ظله، من كوارثه. أما أهل العقائد. المتبجحون بنصرة الرب. فلا يحسبون لظلمهم حساباً.

## باب الحقيقة

الدرس الخامس عشر: الجهل

ما الإنسان العاقل بتمام العقل إلا وهم. وما الفرد المستقل بمطلق فرديته إلا خرافة. إنما توجهنا عوالم لا وعي لنا بها، ولنا ن فكر بأنفسنا لأنفسنا. وما نعلمه عن عالمنا إنما هو أقل بكثير مما نجهله عنه. يدعي ذو السلطان أنه يجهل العالم أكثر مما يجهله صاحب الهامش. وعلينا أن نعرف بأننا لا نعرف. أو لم يقل سقراط: الشيء الذي أعلمه تمام العلم هو أنني لا أعلم شيئاً؟

الدرس السادس عشر: العدالة

لقد تقادم حسناً بالعدالة تقادم ظرفه الزمني

يعتقد الكثير أن الحس بالعدالة يبقى هو هو عبر الزمن، ولا كما يعتقد. ذلك أننا أبناء عالمنا الذي نحيا فيه. كان الأصل في العالم القديم الجماعة القليلة، لكننا نحيا اليوم في عالم مكون من ملايين الناس من مختلف القارات ... لقد صرنا نواجه مشاكل كونية من دون أن تكون لنا جماعة كونية. وكل قبائل البشر مفتونة بمصالحها الخاصة أكثر مما هي معنية بفهم الحقيقة الشاملة.

الدرس السابع عشر: ما بعد الحقيقة

من شأن بعض الأخبار الكاذبة أن تدوم الدوام

نعتقد أننا نحيا بالفعل في عالم يعج بالأكاذيب. عالم ما بعد الحقيقة. لكن الدعاية والتضليل الإعلامي ما كانا بالشيء الجديد. إذ بالفعل عاش البشر على وجه الدوام في عالم ما بعد الحقيقة. إنما المسألة تكمن اليوم في كيف نتحقق من الخبر، وكيف نقاوم غسل أدمغتنا الذي يحدث؟ لا بد من التحرك.

الدرس الثامن عشر: الخيال العلمي

ما كان المستقبل هو ما تراه على شاشة السينما

ها قد أمسينا جزءاً من اللعبة التي تحاصرنا من كل مكان. فكيف يمكنك أن تنجو بنفسك كما أخرجت الذبابة نفسها من عنق الزجاج؟ لا تحمل، يا هذا، ما يقع على شاشة سينما الخيال العلمي على محمل الجد، فتخلط بين السينما والواقع، إنما السينما نفسها أمسّت أمثلة للواقع وليس الأمر بالضد.

## باب اندمال الجرح

الدرس التاسع عشر: التربية

التغير وحده ثابت

ترى كيف يمكن، والحال حال ثورات آتية لم تشهد لها البشرية مثيلاً من قبل، أن نهيء أنفسنا وأبنائنا إلى هذا العالم الجديد الذي يشهد على كل هذه التحولات غير المسبوقة وعلى انهيار اليقينيات المعهودة؛ لا سيما وأن التنبؤ بالمستقبل صار اليوم أعقد من أي وقت مضى، وأن الأمر بات يحتاج إلى قدر كبير من المرونة الفكرية والتوازن الوجداني؟ ليس ثمة أهم من القدرة على التكيف مع الأمر المفاجئ غير المعلوم. وهذا ما يفتقد إليه الكثير من المربين. والحال أن لا ثقة في من شب على شيء حتى يُقدر الآخرين على أن يواجهوا عالماً آخر.

الدرس العشرون: المعنى

كلا؛ ما كانت الحياة بمرؤية

لقد سَخَّفت الليبرالية كل المرويات القديمة وأعلنت أن المروية الجديدة هي أن لا مروية، بل هي ما نصنعه نحن وليس ما صنَّع بنا. وما يمكن اليوم تذكره هو حكايات الناس الصغرى لا المروية الكبرى؛ ما يعانیه الناس في الواقع، وما سوف يكتشفونه في المستقبل. وما كان هذا الجواب نفسه بمرؤية كبرى من شأنها أن تُروى، ولا ينبغي لها أن تكون كذلك.

الدرس الواحد والعشرون: التأمل

يكفيك فقط أن تتأمل!

هذا أكثر الفصول شخصية، حيث يروي المؤلف مرويته الصغرى. ومؤهده: علينا أن نقتدي بالكثير من علماء الآثار والحيوان؛ وذلك بأن نكتفي بأن نلاحظ وأن نتأمل حتى نفهم لا فحسب عالمنا، وإنما كيف يفكر ذهننا، وعلينا أن نهم بذلك قبل أن تهم به خوازميات الآلات. ألا يا إنسان هذا الزمان، فلتتأمل في نفسك!

## الكتاب: واحد وعشرون درساً للقرن الواحد

والعشرين

المؤلف: يوفال نوح هاراري

دار النشر: سبيغل أند غراو / بانغوين

سنة النشر: الإنجليزية

\* أكاديمي مغربي



## اللاوعي أو التاريخ المنسي

هيرفي مازوريل

سعيد بوكرامي \*

ماذا لو كان اللاوعي نفسه مجرد تاريخ منسي؟ لماذا أهمل المحللون النفسيون المحيط الاجتماعي والتاريخ الشخصي للإنسان؟ عندما وضع فرويد التحليل النفسي خارج السياق الاجتماعي، وخارج التاريخ، تركه محاصراً في فرضية مُعيقة لا تتيح إمكانية اكتشاف مزيد من أسرار النفس البشرية ووجودها الفردي والجماعي. لقد تصرف كما لو أن بنية الشخصية التي لاحظها لدى مرضاه في فيينا خلال نهاية القرن التاسع عشر قد أثرت على الإنسان عامة وليس على ممثلي حقبة معينة أو ثقافة أو عالم اجتماعي محدد في الزمان والمكان.

تدرجياً النظام محصوراً في الثوابت (أوديب، الإخصاء، إلخ) ومدعماً بنظرية التطور في القرن التاسع عشر (الفصل ٤). تنعكس هذه المثالية الميتافيزيقية للفرد، والتي يمكن ربطها أيضاً بتأثير الكانطية في ذلك الوقت، بشكل خاص على المستوى النظري من خلال تجسيد الرغبة الجنسية على المستوى الاجتماعي: أثناء إعادة تعريف مسألة الجنسانية وإعادة توزيع حدود الطبيعي والمرضي، جمد فرويد مسألة الرغبة وتمثيلاتهما. وبات مصير النساء في النظرية الفرويدية مثلاً معبراً، لأنه يقدمهن دائماً كما لو أنهن المقابل السلبي للرجل، وعلى الرغم من أن المحللين النفسيين مثل ميلاني كلاين أو هيلين دوتش قد حاولوا تجديد هذه القراءة، فإن فلاسفة مثل بول. ب. بريكيادو. وقبله ميشيل فوكو أصرّوا على الطابع التاريخي والبطريركي لهذه التمثيلات، كما أن المؤرخين أمثال جان بيير فيرنان قد ألقوا على أن الجنسانية والحساسيات العاطفية تستمر في التحول على مر القرون. ومع ذلك، فقد سمح لنا المنهج الفرويدي بإلقاء نظرة أولية على الأسئلة التي لم تكن آنذاك مرئية ومطروحة. وبعد فرويد، تضاعف عمل المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا حول العلاقة العاطفية والعلاقات الأسرية. بعيداً عن موضوعات الدراسة المكررة، يحدث التحليل النفسي تحولاً في تمثيل الزمن: فهو لم يعد خطياً، بل جاء بعدد كبير من الطبقات التي تتشكل على نحو متبادل تاركة مجموعة من الآثار التي يمكن الوصول إليها وتحليلها. إن المنهجية التي اقتبسها المحللون النفسيون وبعض التيارات التاريخية، التي تسعى وراء تفاصيل الحياة الإنسانية العادية ولكنها في الواقع في غاية الأهمية، وتشكل الكثير من الروابط بين التخصصين (الفصل ٣).

بين التاريخ والتحليل النفسي. ويجدر القول أن الاستخدامات الأولى للتحليل النفسي من قبل المؤرخين - على سبيل المثال في عمل إيمانويل لوروي لادوري أو آلان بيزانسون - قد شهدت على الكبوات التي اعترضتهم عندما اعتمدوا في تأملاتهم على المفاهيم التحليلية، المتأرجحة بين مطبات المفارقة التاريخية والتفسيرات النفسية. يعتمد الكتاب في جانبه النظري على مجلد سابق أكثر تجريبية، والذي يتساءل، من خلاله غاسبار هاوزر، عن العمق التاريخي للفرد وعلاقته الحساسة بالعالم. في هذا العمل الأخير المؤلف من ستمائة صفحة تقريباً، يفكك المؤلف الطابع الإرادي والشامل المزعوم لللاوعي، بينما يعيد وصل الخيوط التي تربط التحليل النفسي بالعلوم الاجتماعية بشكل عام وبالتاريخ بشكل خاص. في وقت يتزايد فيه الجدل حول مساهمة التحليل النفسي، والتاريخ وبذلك تحدد هذه العودة لمفاهيمه المركزية العديد من طرق البحث التي يمكن أن تنجم عن الحوار المتجدد بين المؤرخين والمحللين النفسيين. يبدأ مازوريل بالعودة بطريقة فيها الكثير من الإقناع إلى مقاومة التحليل النفسي لأي شكل من أشكال التأريخ. من المسلم به أن التطورات الأولى لنظرية فرويد كانت هدامة، حيث أدت إلى تفكيك نفوذ الأسرة أو الأخلاق في المجتمع الفييني في نهاية القرن التاسع عشر. لكن هذا الإرث تلاشى بسرعة. إذ حجب المعالم الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالفرد لصالح مسرح نفسي خاص مفصل فقط على مقاس النسيج العائلي (الفصل ١). من خلال الانضمام إلى ما طرحه عالم الاجتماع روبرت كاستل في الثمانينيات، يوضح ه. مازوريل أن هذا العمى يمنع التحليل النفسي من مراعاة التحولات المعاصرة للفرد. بحيث يصبح

يعتمد هذا الكتاب الهام على التاريخ العاطفي وعلم الاجتماع النفسي والأنثروبولوجيا النقدية، ليوضح كيف أن حياتنا النفسية العميقة موشومة بالتاريخ، إذ يقدم هيرفي مازوريل، المحاضر في التاريخ المعاصر في جامعة بورغون، مساراً آخر أكثر إثارة في هذا العمل نتيجة عمله كمشرف على الأبحاث الأكاديمية. ولا يحتاج المرء للاقتناع بهذا الطرح سوى فحص عميق على المدى الطويل للتحولات البطيئة للداووع المكبوح وللرقابة العاطفية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثورات الصامتة لأعرافنا، والتغيرات الباطنية في حياتنا العاطفية، والتحويلات السرية في الرغبات والمحظورات. وبذلك يجب أن نستنتج أن هناك مشاكل نفسية واجتماعية وعصابات طبقية تخص كل عصر. ثم التفكير بعد ذلك في التجدد الدائم للأوهام التي تتحرك من خلالها الكائنات الداخلية، والاختلافات الرمزية للأحلام، على غرار ما يحدث للخيال الجماعي وليس على النماذج العالمية العتيقة، أو حتى على الطفرات النفسية العاطفية الصامتة. (بما في ذلك عقدة أوديب) التي ترتقن بالتحولات الأسرية والعائلية والعلاقات بين الجنسين.

يدعو هذا العمل التحليل النفسي وجميع العلوم النفسية إلى الأخذ بعين الاعتبار الديمومة الزمنية الطويلة من التاريخ التي شكلت اللاوعي الذي نحن عليه الآن. بالإضافة إلى ذلك، يبدو في السياق نفسه أن شيئاً واحداً مؤكداً وهو أن الفصل بين الحياة النفسية والتاريخ الاجتماعي، دفعنا إلى إهمال طويل الأمد لحياتنا العاطفية والنفسية، في أكثر طبقاتها غوراً وعموضاً، تلك الغارقة في الحياة الاجتماعية والتاريخية. منذ كتابات ميشيل دو سيرتو، واجه عدد قليل من المؤرخين السؤال الشائك المرتبط بالعلاقة



المعرفي، على الرغم من أن الكتاب كان دائماً يبحر إلى منجز المؤرخين الباحثين عن المتواري والمنسي في لاوعي الإنسان الجماعي. توضح الصفحات الأخيرة من الكتاب بعض المسارات

الملموسة. إذ يقترح مازوريل، على سبيل المثال، تناول المادة التي يتركها المحلل النفسي مهملة أو منسية عن عمد، أو بدون قصد، ليس من أجل التأريخ للمعارف الممارسة على نطاق واسع حتماً، ولكن من أجل العثور على الآثار التي تحتوي عليها والمتجسدة بعمق في الجانب الاجتماعي من الحياة اليومية للإنسان بأفراحها، وأتراحها، كي نجعل لخطوط التحليل النفسي مساراً يؤرخ للأظمة الاجتماعية والسياسية التي تشكل البنية العاطفية والنفسية وذلك وفق العصور والجغرافيات؛ إذ لا يمكن تصور أن نظريات علم النفس السالفة والحالية ستكون قادرة على مجابهة ومقاربة البنيات النفسية للأجيال القادمة بنفس المفاهيم والوسائل التحليلية.

في الختام لا بد من التنويه بالعمل رغم تحفزه من بليوغرافيا نهائية كان من شأنها أن تشغل حيزاً غير معقول من الكتاب، بينما كان وضع فهرس مفصل موضع ترحيب. بالإضافة إلى ذلك، كان غياب حوار معمق مع بعض الأعمال الغائبة عن الكتاب، على سبيل المثال أعمال أندراس زيمبيليني حول دور المجموعة في تشكيل الحالة المرضية، أو مؤخراً، أعمال مايكل س روث التي تتعلق بمساحات الذاكرة وتأثيرها على الجانب النفسي للفرد. لكن ربما حجم العمل الكبير يسمح بغياب بعض الأسماء والأعمال. عموماً يمكن اعتبار الكتاب من المؤلفات الجادة القادرة على رسم آفاق واعدة لمواجهة اللاوعي والتاريخ المنسي الذي حجب التحليل النفسي تدريجياً، ولا شك أن عمل هيرفي مازوريل يعد من الآن فصاعداً تقاطعاً معرفياً مذهلاً ومونلاً مرجعياً لا غنى عنه لأي مهتم بالتحليل النفسي وعلاقته الجدلية بالتاريخ.

**الكتاب: اللاوعي أو التاريخ المنسي: أعماق وتحولات وثورات الحياة العاطفية**

**المؤلف: هيرفي مازوريل**

**الناشر: لا ديكوفيرت، «كتابات التاريخ». فرنسا**

**سنة النشر: 2021**

**عدد الصفحات: 590 صفحة**

**اللغة: الفرنسية**

\* كاتب ومترجم مغربي



الآخرون، مثل كورنيليوس كاستورياديس، وهو محلل نفسي أيضاً، لم يتوقفوا عن التشكيك في ثبات اللاوعي (الفصل ١٣). من خلال تفضيل فكرة التخيل على فكرة الرمزية. أما بالنسبة للمؤرخ ميشيل دو سيرتو، فمن المحتمل أنه أكثر من أشار بأكثر قدر من الاهتمام إلى مخاطر «النقل المشوه، دون بذل جهد في الترجمة، ودون العمل على إعادة بناء المفاهيم، التي تنتظر أولئك الذين يسعون «بأي ثمن إلى نمذجة أوديب، والأنا العليا والعقد الأخرى» (ص ٧٢-٧٣) من خلال مختلف الأزمنة والجغرافيات (الفصل ٢). وفي سياق آخر حدد دو سيرتو عكس المحلل النفسي كارل يونغ، المخاطر التي يتعرض لها أولئك الذين يميلون إلى مطابقة الجانب النفسي للفرد بمجمعه. ما يدعونا إليها مازوريل أن البحث عن تكوين جماعي غير واع ليس هو ما يثقل كاهل الفرد، ولكن أن نكون منتبهين للاضطرابات المعاشة في العصر والتي تعبر الفرد، بإحساس واقعي ولترسم الحدود تاريخياً. يبرز ذلك حتى في لحظات «النوبات الحادة»، الأكثر عنفاً وصدمة، يجب أن تقود هذه «المناطق الغامضة والمظلمة من التاريخ» (ص ٣٦٣) الباحثين إلى إعادة صياغة هذه الأحداث في اقتصاد نفسي معين، أشد تعقيداً من الدوافع البسيطة، من أجل إعطاء معنى لهذه الحلقات وبالتالي فهم الإطار التاريخي الأساسي الكامن وراءه (الفصل ١٠).

وفي خاتمة الكتاب يبقى سؤال عالق: في أي اتجاه محدد يجب أن نسير من الآن فصاعداً؟ يمكن أن يكون الجانب النظري للعمل الثري، أمراً مثيراً للقلق بزخمه

إن الفصول التي تعيد ربط مسألة اللاوعي بمسألة الثقافة مفيدة على أكثر من صعيد. يبدأ مازوريل بالعودة إلى هرمسية فرويد تجاه الأنثروبولوجيا كلها. هذا الاستدعاء المعروف لعالم الأنثروبولوجيا برونيسلاف مالينوفسكي بخصوص عدم وجود أوديب بين سكان جزر تروبيرياندا يشهد على حرج فرويد - ومع التحليل النفسي على نطاق أوسع - في تخلص نفسه من نماذج وأنماط الحياة في فيينا. يدافع جورج ديفيروكس، مؤسس التحليل النفسي العرقي، عن الاهتمام بالثقافة، بينما هو في الواقع يسعى فقط إلى إعادة اكتشاف التصورات الفرويدية التي تخفيها الأنماط الثقافية المختلفة (الفصل ١٢). تدريجياً تتعطل، مع التحليل النفسي، أهمية الثقافة. ومع ذلك، يعتبره مازوريل أن «فكرة الثقافة يجب أن تظل مع ذلك أفقاً تنظيمياً» (ص ٢٥٣) لفهم اللاوعي وتاريخيته يعتمد في أطروحته على أعمال ألبان بنسا، أو كليفورد غيرتز، أو كارلو غينزبورغ أو مارشال ساهلينز، مستعيداً تعريف الثقافة على أنها شبكة من تحقق الهويات، التي تتطور باستمرار، يهيمن عليها الجانب النفسي (الفصل ٧). وبالتالي فإن كل مثال مستخدم هو فقط «حالة من بين الحالات كلها» (ص ٢٥٥)، ومن هنا تأتي الحاجة إلى منهج شامل، خلافاً للسعي إلى وضع قوانين يفترض أنها غير ثابتة ومن شأنها أن تبسط مفهوم اللاوعي، ولا يمكننا من سبر أغواره والكشف عن آلياته.

وبذلك يمكن إخراج المرء من تصور لا تاريخي للفرد والذي عززه، بعد فرويد، التيار اللاكاني، الذي جاء بدوره نتيجة تأثير المنهج البنوي مع ليفي شتراوس المقاوم لأي تأثير للظروف - وهنا يستدعي ويبين المؤلف في بضع صفحات إلى أي مدى رفض لاكان بشكل جذري كل أنواع التاريخانية (ص ٥٣٠). وهكذا يقترح مازوريل إعادة صياغة مفهوم الشخصية من خلال حشد مساهمات المؤرخين وعلماء الاجتماع الذين يولون أهمية للفرد. وفي هذا السياق يستدعي منجز نوربرت إلياس، الذي نجد ظلاله في معظم فصول الكتاب، ومعلوم أن نوربرت يعتبر القارئ المعاصر والمثابر لنظرية فرويد، كما ساهم في ربط معظم المفاهيم النفسية، بالإشكالات الحضارية المعاصرة. وأيضاً بتأكيد الطابع التاريخي للمشاعر الأكثر حميمية (الفصلين ٥ و٦). يذهب مازوريل إلى حد التساؤل عما إذا كان المفهوم الفرويدي للتسامي هو في النهاية ليس الاسم الآخر للمفهوم الاجتماعي للتنشئة الاجتماعية. أما



## كيف أفلتت الصين من العلاج بالصدمة

إيزابيلا وبيبر

محمد السالمي \*

تسارعت وتيرة اندماج الصين بشكل كبير في الاقتصاد العالمي دون اللجوء إلى استيعاب الليبرالية الغربية. تكشف إيزابيلا وبيبر في هذا الكتاب «كيف أفلتت الصين من العلاج بالصدمة» عن المنافسة الشرسة حول الإصلاحات الاقتصادية التي شكلت مسار الصين. ففي العقد الأول من بعد ماو، كان الإصلاحيون في الصين منقسمين بشدة، بشأن كيفية إصلاح الصين لنظامها الاقتصادي. هل ينبغي للصين أن تُدمر جوهر النظام الاشتراكي من خلال العلاج بالصدمة، أم ينبغي أن تستخدم المؤسسات الاقتصادية لقيادة التحول؟. واستنادًا إلى أبحاث مكثفة، بما في ذلك مقابلات مع خبراء صينيين ومسؤولين بالبنك الدولي، يرسم الكتاب المسار الذي مكن الصين في النهاية من التوسع الاقتصادي، وكذلك البناء التدريجي لهذه القاعدة الاقتصادية. كما يكشف الكتاب الأسس الفكرية للعلاقات بين الدولة والسوق في حقبة الإصلاح في الصين.

إدارة الدولة، يشير إلى أن المسؤولين في الدولة يجب أن يتحكموا في ما هو مهم وضروري من أجل حياة الناس والاستقرار الاجتماعي، وترك ما هو هامشي وغير مهم. كان طموح كوان تشونغ الأصلي هو توضيح كيفية تعزيز القدرة على توسيع واستخدام الموارد حتى يتمكن الملوك من التغلب على المنافسين عند الحرب. ولذلك، كانت كيفية تحقيق الازدهار والعمل المستقر للمجتمع أمرًا محوريًا لدى كوان. وبالتالي، وفي السلالات الإمبراطورية اللاحقة، تم تحويل الدروس المجردة إلى ممارسات ملموسة، مثل احتكار الملح والحديد، ونظام صوامع الحبوب المستخدم لتسوية أسعار الحبوب، وما إلى ذلك. أحد المنطلقات المهمة التي حددها كوان هو أن الاستقرار السياسي يحظى بالأولوية حتى على حساب الحرية الاقتصادية. على سبيل المثال، يمكن للتقلبات الكبيرة في الأسعار أن تؤدي إلى اضطراب اجتماعي، والذي بدوره سيعرض الشرعية السياسية للخطر. ومن هذا المنطلق، يجب على السياسيين الحكماء بذل قصارى جهدهم لتجنب مثل هذه المواقف المحرجة. وتشير إيزابيلا إلى أن هذه المعرفة أصبحت نوعًا من الغريزة التي توجه كيف يتخذ أباطرة الصين القدامى والسياسيون المعاصرون القرارات. من المسلم به بشكل متزايد أن الصين الحالية تشترك في الكثير من الاستمرارية مع ماضيها فيما يتعلق بالبنية المجتمعية والأيديولوجية السياسية. تأثرت ممارسات الكوادر الشيوعية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي بالحكمة الكلاسيكية أيضًا.

الدولة الوحيدة ولا الأولى التي أطلقت مشروع إصلاح السوق، لكنها كانت الأكثر نجاحًا بين الدول الاشتراكية. ماهي العوامل التي أدت إلى عزوف الصين عن هذا الإصلاح الضخم بينما اختارت دول اشتراكية أوروبية أخرى العلاج بالصدمة وواجهت فوضى اقتصادية وفشلًا مستمرًا؟. توضح المؤلفة أن الأسواق لا تحدث بشكل طبيعي، ويجب بناؤها وإدارتها بعناية، وتكون أداة للدولة لتطوير اقتصاد حديث ولتلبية الاحتياجات الشعبية. ومن المعلوم أن الصين مندمجة بشكل كبير في الرأسمالية العالمية ولكن ليس بالطرق التي يفضلها الغربيون. يأتي الجزء الأول من الكتاب بعنوان «طرق إنشاء السوق وتنظيم الأسعار، حيث يتطرق في فصوله للدروس الكلاسيكية الصينية للفيلسوف كوان تشونغ، والخبرة السابقة للتحكم في الأسعار وإلغاء القيود في الدول الغربية والممارسات الملموسة للكوادر الشيوعية التي تهدف إلى إدارة الاقتصاد. في حقبة الإصلاح، كان الاقتصاديون الصينيون وغيرهم على دراية بالمناقشات الاقتصادية في الصين القديمة. حيث إن القادة الصينيين منذ قرون وهم يناقشون كيفية إدارة مؤسسات الدولة وخاصة عند الانتقال من الحرب إلى السلام، ومشكلات شرعية النظام في أعين الناس، وإدارة أسعار السلع والخدمات الأساسية التي من شأنها أن تُعزز من التحول التدريجي مقابل التحول المباشر. ففي تعاليم الفيلسوف كوان تشونغ حول كيفية

وللتعريف بالمؤلفة، تعمل إيزابيلا أستاذة في الاقتصاد بجامعة ماساتشوستس أمهيرست. كما تعمل كخبيرة اقتصادية في برنامج الاقتصاد السياسي الآسيوي التابع لمعهد الاقتصاد السياسي لنفس الجامعة. تتنوع أعمال المؤلفة في قضايا الصين والتجارة العالمية وتاريخ الفكر الاقتصادي. حاز الكتاب على استحسان النقاد وتم تضمينه في قائمة الفايينشال تايمز. بالإضافة إلى فوز الكتاب بجائزة جوان روبنسون لعام ٢٠٢١ الممنوحة من الجمعية الأوروبية للاقتصاد السياسي. تستكشف إيزابيلا الخلافات وراء مسار الصين للإصلاح الاقتصادي، وتوضح كيف التزمت بالتدرج التجريبي بدلاً من العلاج بالصدمة للتحرير الفوري للسوق. يلقي هذا الكتاب الدقيق والواسع النطاق الضوء على تاريخ إصلاحات السوق في الصين والعوامل التي دفعتها للهروب من العلاج بالصدمة. ويقصد بالعلاج بالصدمة حزمة من السياسات الاقتصادية يمكن صياغتها في أربعة عناصر. أولاً، تحرير الأسعار والخروج من تثبيت سعر الصرف. العنصر الثاني يتمثل في التقشف الاقتصادي أي السياسة النقدية الصارمة وفرض القيود المالية. ثم يأتي عنصر تحرير التجارة والخصخصة. كان النمو الاقتصادي في الصين لافتاً للنظر. بدأت القصة في أوائل الثمانينيات، حيث عمدت الحكومة الصينية إلى سياسة الإصلاح والانفتاح لإعادة رسم الاقتصاد الاشتراكي. لم تكن الصين



التوصل إلى حل وسط مع شرط مسبق للاستقرار الاجتماعي، حيث سُمح لآلية أسعار محدودة بالتدخل تدريجياً. كما يجب على الحكومة السيطرة على ما هو ضروري لحياة الناس اليومية حتى يمكن تجنب الاضطرابات الاجتماعية. وينبع هذا المنطق السياسي من الحكمة الكلاسيكية الصينية التي من خلالها أعطى السياسيون الأولوية للاستقرار الاجتماعي وشددوا على السلوكيات البراغمية، وهذا ما دعا إليه كوان تشونغ قبل ٢٠٠٠ عام. وبالتالي، لم تقنع المناقشات في الثمانينيات صانعي القرار الصينيين بفوائد العلاج بالصدمة، لكنها كشفت المخاطر المحتملة لمثل هذا الإصلاح. كما أخبرهم المنطق السياسي الذي تم اختباره منذ فترة طويلة بتجنب الأعمال التي قد تعرض الاستقرار للخطر. ومن النهج التدريجي نمت آلية السوق في التسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

وفي الختام، يمكننا القول أنه لا يوجد مخطط واحد للتنمية يمكننا نشره في جميع أنحاء العالم من شأنه أن يحل مشكلة التنمية. ما يستحق التأمل في الكتاب أن حالة تطور الصين تستحق الدراسة، ومن شأن دول العالم الثالث تطوير نموذجها الخاص بما يتماشى مع تاريخها ومقوماتها الطبيعية.

يقدم الكتاب تحليلاً رصيناً للنضالات الفكرية والسياسية التي حدثت وغيّرت الصين، وتداعياتها العالمية. إنه يوفر رؤى أساسية حول كيفية عمل الصين ويوضح بمهارة أن الليبرالية الغربية ليست الأيديولوجيا الوحيدة في العالم. ما قدمته إيبزيبلا ليس مجرد أطروحة اقتصادية، ولكن يأخذ الكتاب للجوهر التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي صنع الصين المعاصرة. هذا الكتاب يجب أن يقرأه أي شخص مهتم بتاريخ الإصلاحات الاقتصادية في الصين.

**الكتاب: كيف أفلتت الصين من العلاج بالصدمة**

**المؤلفة: Isabella M. Weber**

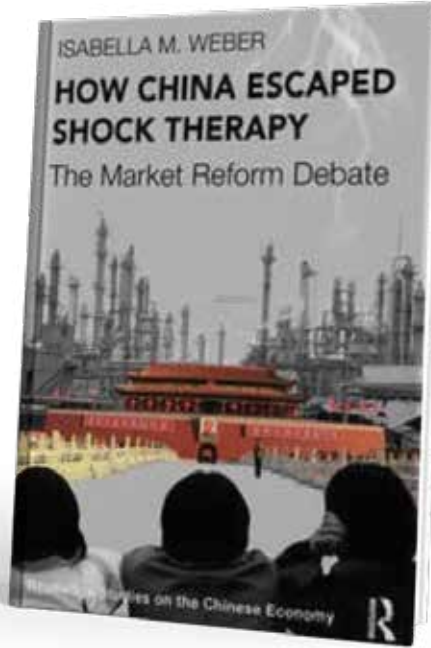
**الناشر: Routledge**

**سنة النشر: 2021**

**اللغة: الإنجليزية**

**عدد الصفحات: 358**

\* كاتب عُمانى



أم التدريجي. تقدم المؤلفة خريطة معرفية مفصلة من تلك المناقشات الفكرية التي يمكننا من خلالها العثور على أدلة حول سبب «هروب الصين» من العلاج بالصدمة. ففي أوائل الثمانينيات، جاء اقتصاديون من أوروبا الشرقية والغرب لزيارة الصين وإلقاء محاضرات فيها. لكن صانعي القرار الصينيين لم يأخذوا نصيحتهم، على الرغم من أن بعض المثقفين الصينيين الشباب قد تم تبشيرهم بحزمة الإصلاح التي اقترحها الاقتصاديون الأجانب.

وفي وقت لاحق أفلتت الصين من العلاج بالصدمة مرتين. ففي عام ١٩٨٨م، مارست الحكومة الصينية عملية تحرير للأسعار، لكنها أدت إلى تضخم مفرط، وهو أمر غير مسبوق في تاريخ جمهورية الصين الشعبية، ثم عدم الاستقرار الاجتماعي. وسرعان ما تم إنهاء تحرير الأسعار، وأعيد فرض الرقابة الصارمة. ولكن لماذا كان النهج التدريجي مفضلاً في الثمانينيات من القرن الماضي؟ يكمن مفتاح الإجابة على هذا السؤال في حقيقة أن صانعي القرار الصينيين أدركوا النتيجة المحفوفة بالمخاطر المحتملة لتغيير جذري، وأنهم أعطوا الأولوية للاستقرار الاجتماعي قبل كل شيء. كانت لدى صناع القرار الصينيين مخاوف عميقة بشأن التضخم وعدم الاستقرار الاجتماعي الذي كان بمثابة كابوس. وقد نجحوا عدة مرات في إجهاض مخططات أولئك الذين أرادوا أن يحدث تحرير أسرع للأسعار. وفي ظل هذه الظروف، تم

من بين الأسئلة التي أثّرت بشكل مباشر خلال الكتاب حول كيفية التفكير بإصلاح الاقتصاد الصيني في أواخر السبعينيات وحتى الثمانينيات. لم تكن القضية في ذلك الوقت هي ما إذا كان الاقتصاد الصيني بحاجة إلى إصلاح في الاتجاهات الرأسمالية والذهاب نحو السوق الحر، بل كانت عن كيفية القيام بذلك لرفع مستوى الاستقرار السياسي والتقليل من الاضطرابات الجماهيرية، وتعظيم شرعية النظام، وانتقال الملايين من الفقر والجوع وخاصة في الريف. وهذا ما يقودنا للجزء الثاني حيث تناقش المؤلفة في فصوله قضايا ضبط الأسعار في الاقتصاد الماوي، وتأهيل السوق بين النظرية والتطبيق، والهروب من العلاج بالصدمة.

مثل الدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية، أنشأت الصين أيضاً الاقتصاد الستاليني المخطط الذي كانت فيه الأسعار تخضع لرقابة صارمة من قبل الحكومة، وتم تنظيم الإنتاج والتوزيع من خلال لجان التخطيط. وبحلول أواخر السبعينيات، فشلت الصين في تحسين مستويات معيشة الناس أو الوفاء بوعد الاشتراكية المجيدة. وبعد وفاة الزعيم ماو، بدأ السياسيون في محاولة إلغاء القيود والبدء في التصنيع الموجه نحو الغرب. وفي أوائل الثمانينيات، تم لفت الانتباه إلى تحرير الأسعار الذي كان يُعتقد أنه جوهر إصلاح السوق. ومع ذلك، كان هناك القليل من الإجماع بين السياسيين حول كيفية تحرير آلية السعر. اعترفت الحكومة بحذر حول وجود الأسواق السوداء وتداول السلع على نطاق ضيق خارج آلية التخطيط؛ حيث انتشرت الأسواق في هوامش كبيرة، وأصبحت أساس نظام المسار المزدوج. ومن خلال نظام المسار المزدوج، دخلت الصين تدريجياً في تحرير الأسعار. ومن ناحية أخرى، فإن الوحدات الإنتاجية، مثل المصانع المملوكة للدولة والأسر الريفية، فإنها ملزمة بالوفاء بالإنتاج الإجمالي الخاضع لاستخراج الحكومة أو فرض الضرائب. ومع تحقيق الإنتاج الإجمالي، يمكن لهذه الوحدات الاستفادة من قدرتها الإضافية لإنتاج المزيد من السلع للتداول الحر الذي تسود فيه آلية السعر.

خلال الثمانينيات، تم التوصل إلى إجماع على أن الإصلاح ضروري ويجب أن يحدث، واستمر السجال حول النهج الأفضل، هل الإصلاح الشامل



## نهاية الأوهام: السياسة والاقتصاد والثقافة في فترة الحداثة أندرياس ريكفيتز

علي الرواحي \*

تُخيم على العالم في الوقت الراهن الكثير من الأوهام، بحسب مؤلف هذا العمل أندرياس ريكفيتز، ومن ضمنها وهم تقدم المجتمعات الغربية، وانتصار الديمقراطية الليبرالية، واقتصاد السوق وغيرها. يُناقش المؤلف على مدى خمسة فصول مختلفة، مواضيع تتعلق بالأوهام المسيطرة على الحاضر، ففي الفصل الأول يتطرق للصراع بين الثقافات المسيطرة على العالم، كما يتطرق الفصل الثاني إلى التصعد الذي طال الطبقة الوسطى، والتي كانت في الماضي طبقة واحدة في حين أنها بصد الانقسام لثلاث طبقات وسطى مختلفة، ومتميزة في نفس الوقت. بينما يناقش في الفصل الثالث ما وراء المجتمع الصناعي والاستقطاب الذي تركته الرأسمالية على الثقافة. ويناقش الفصل الرابع الضجر الذي طال الإنسان المعاصر من مقولات تحقيق الذات والمفارقات التي تغلغت للفرد في المراحل الزمنية الأخيرة. وأخيراً يناقش في الفصل الخامس الأزمة التي تُحيط بالنموذج الليبرالي والبحث عن نموذج سياسي جديد ينتقل فيه من الليبرالية المبعثرة إلى الليبرالية المنظمة.

فالنماذج السياسية تشترك في ميزات معينة مع نماذج توماس كون، لكن القياس لا ينبغي المبالغة فيه، رغبة في المطابقة بينهما، والقفز على الاختلافات الطبيعية. حيث يسعى المؤلف هنا لربط المفهوم بسياق اجتماعي محدد: بالأنظمة الليبرالية الديمقراطية والتعددية لما يسمى بالغرب (والتي هي في نفس الوقت أنظمة رأسمالية). كما يمكن أيضاً فهم النماذج السياسية التي ميزت التاريخ السياسي الغربي منذ عام 1945م على أنها معقدة لحل المشكلات، وخاصة على أنها خطابات وتقنيات رسمية ومؤسسية للتعامل مع المشكلات الاجتماعية. في الواقع، يراقب المجال السياسي المجتمع باعتباره شيئاً يطرح مشاكل تتطلب حلاً سياسياً كالأزمات الاقتصادية، عدم المساواة، التفكك الاجتماعي، العزلة، والعنف. لذلك تظهر النماذج السياسية دائماً في سياق معين من الأزمات التاريخية، وتقوم بتطوير تقنياتها الخاصة في السلطة باعتبارها «صيغا مختلفة لحل المشكلات» (دولة الرفاهية، والتسويق، والتنوع، وما إلى ذلك)، والتي يحشدون من أجلها الدعم ويضعون من أجلها الخطط في الممارسة السياسية، وذلك عندما يتم تطبيق نموذج سياسي، وعندما يعمل بشكل فعال من منظور مؤيديه، وعندما ينجح في السيطرة على الخطاب بطريقة تفكيكه (بما في ذلك خطاب خصومه الأصليين)، فإنه يبدو أنه يفترض إلى البديل وتمثل «وجهة النظرية الوحيدة المقبولة للأشياء». بعبارة أخرى، تصبح مهيمنة. ومع ذلك، فإن الزمن يتغير، وتظهر مشاكل جديدة لا يمكن للنموذج السياسي المهيمن سابقاً حلها، أو على الأقل ليس بشكل كافٍ. في نهاية المطاف، يعتبر هذا النموذج قد فشل. بالطبع، ما يصبح «مشكلة» لاحقاً ليس مسألة موضوعية، بل له جانب ذاتي أيضاً. بدلاً من ذلك، يتم تعريفه بهذه الطريقة من قبل السلطات الاجتماعية، في المجال العام، والحركات السياسية، والخبراء، والناخبين، وما إلى ذلك، بحيث تنشأ النزاعات دائماً حول كيفية تعريف الأشياء. فالصراع على السلطة يعتبر مسألة من يسيطر على الخطاب، وكيف يتم توزيع الموارد بين مجموعات مختلفة من الجهات الفاعلة والمصالح الجماعية. على عكس النماذج العلمية التي كانت تدور في ذهن كون، فإن النماذج السياسية ليست فقط

الجنسية، ونحو تغيير طريقة الحياة الغربية، التي أصبحت أكثر متعة وعالمية، وبالتالي تركت وراءها الكثير من جمود مجتمعات ما بعد الحرب. على وجه الخصوص، أصبحت الطبقة المتوسطة الجديدة والشابة في العالم المعولم تتحرك مثل سمكة في الماء. لقد انتشر الشعور بأن العالم مفتوح بشكل أساسي على مدى العقود القليلة الماضية، ويبدو هذا الآن وكأنه موقف ثابت تجاه الحياة. في مقابل ذلك، وبعد نقاش مطول حول أعراض وأسباب هذه الأزمات التي تعيشها المجتمعات الغربية، وبالتالي الأوهام المسيطرة عليها، يطرح المؤلف نموذجاً سياسياً جديداً، بدلاً عن النموذج الحالي، غير أنه من الضروري أن نُلقي نظرة فاحصة على مفهوم النموذج السياسي *political paradigm*، الذي يعتبره المؤلف مفتاحاً لفهم التطور السياسي لمجتمعات ما بعد الحرب. فمن خلال الحديث عن «النماذج، السياسية، فإنه ينقل مفهوماً مؤثراً، ابتكره مؤرخ العلوم توماس كون Thomas S. Kuhn لتحليل الاتجاهات واسعة النطاق في العلوم (الطبيعية)، إلى المجال السياسي وتطوره. وفقاً لكون، النماذج هي مفردات لحل المشكلات؛ فالبحر يفترضون بأنفسهم عندما يتجهون لتقديم إجابات للمشكلات - في حالة كون، مشاكل التفسير العلمي - ويواجهون النقد، بأنهم يدخلون في حالة أزمة عندما يتجاوز عدد «الحالات الشاذة» التي يفشلون في تفسيرها لمرحلة كبيرة، وأعداداً متزايدة. بعد فترة انتقالية مليئة بالأزمات، تحدث نقلة نوعية ويتم إنشاء لعبة لغوية جديدة تحل بنجاح المشكلات العلمية المكتشفة حديثاً لبعض الوقت - حتى يتم استنفاد هذا النموذج الجديد أيضاً واستبداله بالنموذج التالي، وهو أفضل قدرة لشرح التحديات المكتشفة حديثاً. يعتقد كون أنه في غضون فترة زمنية معينة، يوجد دائماً نموذج رائد واحد فقط، والذي يوفر إطاراً يشترك فيه جميع العلماء تقريباً أو أقل. وبالتالي، فإن كل نقلة نوعية تستلزم بداية جديدة وتقدماً نسبياً. وبهذه الطريقة، فإن تاريخ النماذج هو عملية تقدم (مع تحديات مرثية وملموسة) تتجاهل النماذج السابقة ولكنها لا تقلل من قيمتها أبداً. حيث كان لهذه النماذج القديمة «وقتها»، لكنها ببساطة لم تعد كافية ضمن السياق الجديد المطروح.

في السنوات الأخيرة بدأ الكثير من الأوهام في الانقشاع والتزعزع؛ فالتغيرات الهيكلية التي طالت هذه المجتمعات لم تعد خافية على أحد، فهي واضحة، وتزايد بشكل مستمر في أكثر من مجال، ومن ضمنها بطبيعة الحال الجانب السياسي المتمثل في صعود الشعبوية، وانتخابات الرئاسة الأمريكية في 2016م، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والمظاهرات الحاشدة من مجموعات السترات الصفراء في فرنسا ضد الرئيس الفرنسي ماكرون. والأمر يمتد لإيطاليا ووصول الحكومة الشعبوية للسلطة في عام 2018م، وهذا ينطبق أيضاً على المجر وبولندا النموذجيين الأوروبيين الديمقراطيين. في مقابل ذلك، نجد أن السردية الليبرالية للتقدم وبشكل أساسي على مدى الثلاثين عاماً الماضية مدعومة بوفرة من الأدلة التجريبية، والواقعية فيما يتعلق بالتقدم السياسي، حيث يمكن للمرء أن يشير إلى الحركات المؤيدة للديمقراطية في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، والتي أدت إلى استبدال أنظمة ديمقراطية ليبرالية إلى حد كبير بالأنظمة الاستبدادية. بالإضافة إلى ذلك، تم تكتيف التعاون العالمي بين الدول، والاتحاد الأوروبي وهو مجرد مثال واحد على ذلك. كما أدت العولمة واندماج أجزاء كبيرة من الجنوب العالمي في السوق العالمية إلى تسريع التصنيع، خاصة في البلدان الناشئة مثل الصين والهند، وقد أدى ذلك إلى الحد بشكل كبير من الفقر وظهور طبقة وسطى قوية. وفي أمريكا الشمالية وأوروبا، تم تأسيس اقتصاد معرّبة لما بعد الصناعة، وقد استفاد هذا الأخير بشكل كبير من الثورة الرقمية. كما بدت عملية الرقمنة *Digitalization* - التطور التكنولوجي المحدد للعقدين الماضيين - في البداية أنها تتلاءم بسلاسة مع سرد التقدم هذا، عن طريق شبكة من الأفراد والمنظمات، والإنترنت كمساحة تجريبية للهويات الجديدة والتعاون، وأخيراً شكل غير محدد من التواصل الذي ينشط الديمقراطية - والذي يُعبر عن توقعات النهضة التكنولوجية. أخيراً، يحتوي سرد التقدم أيضاً على مكون اجتماعي - سياسي، مع الأخذ بعين الاعتبار المكاسب الكبيرة التي تحققت في التحرر على مدى العقود القليلة الماضية؛ التحول نحو المساواة بين الجنسين، نحو الحقوق المتساوية للأقليات





يلقي التمييز بين نماذج التنظيم والديناميكية ضوءاً جديداً ومفيداً على التمييز التقليدي بين اليسار واليمين. فمن الضروري الإشارة إلى أن التمييز بين اليسار واليمين في هذا السياق ليس بأي حال من الأحوال غير ذي صلة، لا تاريخياً ولا بالتطورات الحالية والمستقبلية. ومع ذلك، فإن أهميتها محدودة أكثر مما يعتقد عادة. فإذا كان النموذج السياسي السائد، في شكله كنموذج للتنظيم أو الديناميكية، يمثل بنية مجردة عميقة للفكر والفعل السياسيين، فإن هذا الهيكل يتم ملؤه بطرق محددة مختلفة من قبل اليسار واليمين. بالمقابل، من الصحيح أيضاً أن كلاً من اليسار السياسي واليمين السياسي لديهما تقارب لكلا النموذجين. فعلى طوال الإطار الزمني (وفي الواقع، منذ القرن التاسع عشر)، كان للييسار السياسي جانب «تنظيمي» (في شكل دولة ديمقراطية اشتراكية) وجانب «ديناميكي» وانفتاح، (في شكل مختلف حركات التحرر الليبرالية). في حين أن على اليمين السياسي (بالمعنى الأوسع)، يتم تمثيل كلا النسختين أيضاً: تستند النسخة المحافظة الكلاسيكية إلى التنظيم والنظام، بينما تستند ليبرالية الاقتصاد والسوق إلى الديناميكية والحيوية والتغير.

بالإضافة لذلك، نجد أن النموذج الاجتماعي - التشاركي نجا لعدة عقود دون أن يتعرض لأي تحد من أي بديل. لكن في السبعينيات، سقطت في أزمة أساسية أدت في النهاية إلى تفككه. خلال هذه السنوات، تغيرت الظروف الاجتماعية - لأسباب ليس أقلها السياسة نفسها، على الرغم من أنها مستقلة جزئياً عنها أيضاً - لدرجة أنه في النهاية، بدا أن النموذج يخلق مشاكل أكثر مما يمكن أن يحلها في أي وقت مضى. وبطريقة ملفتة للنظر، تقاربت لحظتان من الأزمات في هذا الوقت - أزمة اقتصادية وثقافية - ويمكن تفسير كل منهما على أنها من أعراض التنظيم الاجتماعي المفرط social overregulation الذي أدى لحدوث أزمات اقتصادية حادة، مع أزمة النفط عام 1973م والتي اعتبرت كنقطة تحول، وإلى زعزعة إيمان المجتمع بقدرة الاقتصاد على التخطيط. بعد 30 عاماً من معدلات النمو المرتفعة والثراء المتزايد باطراد، دخل الاقتصاد مرحلة الركود والبطالة المرتفعة والتضخم المرتفع والديون الحكومية المرتفعة. بدأ المرء يسمع تشخيصات لفشل الحكومة «أزمة إدارة الأزمات»، في الوقت نفسه، وبصورة مستقلة على ما يبدو (أو هكذا بدا الأمر في البداية)، حدثت أيضاً أزمة ثقافية للشرعية، حيث أشارت الاحتجاجات الطلابية المناهضة للاستبداد في عام 1968م وما يتصل بها من حركة «بديلة» غير ملتزمة إلى أن الشباب المتعلمين جيداً، التي أصبحت النخبة الوظيفية في المستقبل، كانوا غير راضين بشكل متزايد عن «النظام» المنظم المعمول به، والذي لم يؤد بالمجتمع إلى المساواة فحسب، ولكن أيضاً إلى التطابق uniformity والامتثال.

**الكتاب: نهاية الأوهام: السياسة والاقتصاد والثقافة في فترة الحداثة.**

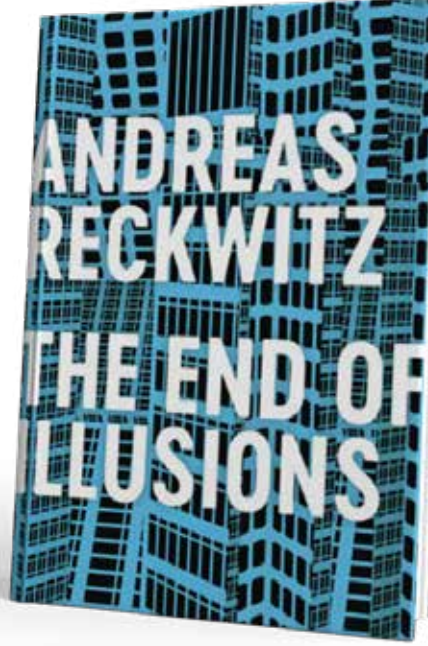
**المؤلف : أندرياس ريكفيتز Andreas Reckwitz**

**الناشر: 2021، مطبوعات Polity.**

**عدد الصفحات: 244**

**لغة الكتاب: الإنجليزية.**

\* كاتب عُمانى



بأخر بالمجالات الثلاثة في وقت واحد. على العكس من ذلك، يمكن القول أيضاً أنه إذا أراد نموذج سياسي جديد إقناع الناس، وكسب الأصوات، والتأثير على سياسة الحكومة، فعليه أن يقدم حلاً وإعادة تشكيل للمستويات الثلاثة السابقة.

من هذا المنظور، يتضح بناءً على التطورات السابقة، تناوب نماذج التنظيم paradigms of regulation ونماذج الديناميكية paradigms of dynamization مع بعضها البعض. في نموذج التنظيم، يتم تفسير المشكلات الاجتماعية - الاقتصادية والاجتماعية - الثقافية (وكذلك الديمقراطية الوظيفية) على أنها مشاكل نتجت عن الانتقال إلى النظام الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي. حيث يعتمد هذا النموذج على الخطابات والأساليب الحكومية التي تدور حول إنشاء النظام، وهو يفعل ذلك في محاولة لخلق ظروف موحدة. وهذا ينطوي على إنشاء حدود ثابتة أيضاً. إن نموذج النقابات الاجتماعية، الذي كان سائداً في السبعينيات (من الصفقة الجديدة لفرانكلين دي روزفلت إلى «المجتمع المنظم جيداً» لودفيج إيرهارد) هو مجرد نموذج من نماذج التنظيم. في حين أن نموذج الديناميكية، على العكس من ذلك، يُفسر المشكلات الاجتماعية الاقتصادية والاجتماعية الثقافية (فضلاً عن الديمقراطية الوظيفية) على أنها مشاكل نشأت من الإفراط في التنظيم الجماعي والافتقار إلى الديناميكية أو الحيوية. يقوم هذا النموذج على الانفتاح وتحرير الأنظمة بالمعنى الأوسع - لصالح الحريات الفردية، والجماعات، والأسواق، وما إلى ذلك. وهو قائم على هدم الهياكل الجامدة باسم الاختلاف والتنوع. كما يهدف إلى تسهيل الحركة الاجتماعية والتنقل والترحيب بالنماذج والتوجهات الجديدة. يتضمن هذا أيضاً فتح أنواع مختلفة من الحدود. إن نماذج الليبرالية التفاضلية - في كل من مظاهرها النيوليبرالية والتقدمية الليبرالية، وكلاهما يؤيد العولة بالتأكيد - هي مجرد نموذج من نماذج الديناميكية. يمكن افتراض أن هذا النموذج سيتبعه نموذج جديد للتنظيم، ولكن في ضوء التغيرات الاجتماعية الأساسية التي حدثت منذ ذلك الحين، فإن هذا النموذج الجديد من التنظيم لن يكون له بالتأكيد نفس شكل النقابات الاجتماعية القديمة.

برامج معرفية لحل المشكلات، فهي معيارية من حيث أنها تنطوي على قرارات متناقضة حول القيمة، والرؤى المثالية للقيم المرغوبة. وبالتالي، فإن كل نسخة فردية أو تصور فردي من النموذج السياسي تمتلك قدرًا هائلاً من الإمكانيات التي يمكن للناس التماثل معها، وعلى عكس نماذج كون، التي تبدو قائمة بذاتها نسبياً، فإن النموذج السياسي هو في الأساس الأكثر تنوعاً. حيث يوجد كل نموذج سياسي في نسخ مختلفة، وأشكال متنوعة ذات ميول يسارية ويمينية، يمكن أن «تعارض» مع بعضها البعض، على الرغم من أنها تشترك في تصورات مشتركة معينة عن المشاكل والأفكار المتبادلة حول كيفية حلها. وبالتالي، فإن التحول في النموذج السياسي هو في الأساس أكثر دراماتيكية وعمقاً من مجرد تغيير الحكومة من اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار (حتى لو كانت بعض هذه التحولات قد أدت بالفعل إلى تحول في النموذج السياسي أو أعطت صوتاً له، وهو ما يظهر عادةً فقط في وقت لاحق). على عكس حالة التغيير «البسيط» للحكم بين الأحزاب، والذي يستلزم «فقط» استبدال نسخة واحدة من النموذج بأخرى، يعني التحول السياسي في النموذج في هذا السياق أن أسلوباً سياسياً كاملاً في التفكير والحكم قد تغير لأسلوب جديد، والذي سيفرض نفسه بعد ذلك على طيف البرامج السياسية بأكمله لسنوات عديدة قادمة. ومع ذلك، فإن هذا الانتقال لا يتم على الإطلاق بسلاسة، ويرجع ذلك إلى التعقيد الذي يؤثر على النماذج السياسية والنماذج العلمية بطرق مختلفة، والتي تحكمها مجموعة قوانينها الخاصة، والطبيعية، التي تحاول النظريات العلمية فهمها، وهي أيضاً لا تتغير بسهولة؛ ومع ذلك، فإن المجتمع، الذي هو محور السياسة، غالباً ما يتغير عن طريق تدخل السياسة (وغالباً بطرق غير متوقعة).

كما ذكرنا أعلاه، يمكن فهم النموذج السياسي political paradigm على أنه إجابة لمجموعة معينة من المشاكل الاجتماعية. فمن حيث المبدأ، يمكن للجهات الفاعلة والخطابات ذات الصلة أن تعتبر أي عدد من الظروف «مشكلة اجتماعية» تحتاج إلى حل سياسي. ومع ذلك، في تطور النماذج السياسية منذ عام 1940م، كانت هناك ثلاث مجموعات على الأقل من المشاكل: المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، والمشكلات الاجتماعية والثقافية، والمشكلات الديمقراطية الوظيفية، على الرغم من أنها مترابطة، إلا أنه لا يمكن اختزالها إلى بعضها البعض. ما هو مهم في هذا السياق أن في كل مرحلة من مراحل الأزمة - قبل بداية النموذج الاجتماعي - التشاركي (في أوائل الثلاثينيات، على الأقل في الولايات المتحدة)، وخلال السبعينيات (عندما انتهى النموذج الأخير)، وفي الوقت الحالي.

تشمل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، على سبيل المثال، الأزمات الاقتصادية (التي تتجاوز مجرد تقلبات الازدهار والكساد)، والركود الاقتصادي طويل الأجل، والأزمات المالية، وارتفاع معدلات البطالة طويلة الأجل، وعدم المساواة الاجتماعية الصارخ، والمستويات المرتفعة للديون الحكومية، أو مستويات منخفضة من الابتكار. كما تشمل المشاكل الاجتماعية والثقافية، من بين أمور أخرى، التجارب الاجتماعية للاغتراب، وأشكال التفكك الثقافي، فضلاً عن أزمات الشرعية والتحفيز. أخيراً، فإن المشاكل الديمقراطية الوظيفية هي تلك التي تؤثر على شرعية ووظيفة النظام السياسي نفسه وتثير تساؤلات حول صلاحية المشاركة في النظام الليبرالي الديمقراطي وحول كفاءة النظام السياسي. في الواقع، عندما يجد نموذج سياسي مهيمناً نفسه في حالة أزمة، فإن هذه الأزمة عادة ما تتعلق بشكل أو



## حوارات

### في. دي. ساتيشان

#### فيلابوراتو عبد الكبير \*

الحوارات والمحادثات التي تجري باستمرار هي روح الديمقراطية وضمان بقائها. إنما تنجح الديمقراطية في حين تتخذ فيه القرارات بناءً على آراء تجمع من الشعب وتنفذ إلى تغيير إيجابي في حالات البلاد. إذا كانت المبادرة في هذا الشأن من جانب أحد نواب مجلس الشعب فلا شك أن لها أهمية خاصة تُلقت إليها أنظار الجمهور. وهذا الكتاب خير مثال لذلك. لأنه يحتوي على حوارات هادئة أجراها نائب في مجلس الشعب في كيرالا اسمه في. دي. ساتيشان. يحاول ساتيشان من خلال هذه الحوارات الممتعة تقديم أفكار واضحة لبناء كيرالا من جديد التي تقع في أقصى جنوب الهند. وللكتاب ميزتان، أولهما أن مؤلفه حالياً زعيم المعارضة في مجلس شعب كيرالا، السياسي الواعد من الجيل الجديد الذي ينتمي إلى حزب المؤتمر، وثانيتهما أن وجهات النظر المختلفة التي تنعكس فيه تشير إلى اهتمام الكاتب باختيار الماهرين في مجالاتهم ليُعبروا عن آرائهم في موضوعات تتعلق بمستقبل الولاية. ويلاحظ أن هذه الحوارات بعيدة من أي انتماءات حزبية ضيقة حيث نرى فيها شخصيات مثل الدكتور طوماس أيساق، الاقتصادي البارز في الحزب الشيوعي وغريم الكاتب في السياسة.

بالإضافة إلى ذلك، أحد الصناعيين البارزين في القطاع الخاص، وفي حوار آخر في هذه المجموعة يطالب للحكومة بالتنازل عن الفائدة للقروض التي تستلمها الشركات من البنوك. ويشرح في هذا الحوار تجاربه الشخصية في الوسائل التي اتخذها للتغلب على الأزمة الاقتصادية. يرى طوماس أن كيرالا سينخفض إنتاجها ١٥ في المائة كما ستخفض الإيرادات من العملات الخارجية إلى ٢٥ في المائة وفقاً لإحصائيات البنك الدولي. ما الحل لهذه الأزمة؟ يقترح ساتيشان حلاً لهذه الحالة، أن تكون ولاية كيرالا محجة سياحة صحية حتى تتمكن من استعادة عافيتها الاقتصادية. يوافق طوماس على هذا الاقتراح مضيفاً إليه ضرورة تدريب عدد كافٍ من الممرضات. لأنه ينتظر فرصة ذهبية لهن حيث توجد وظائف شاغرة للممرضات المتدربة والعاملين في خدمات شبه الطبية في كثير من المستشفيات في دول خارج الهند. والعلاج أيضاً بأنواعه المختلفة من «أيورفيدا»، العلاج التقليدي والطبيعي، و«الهوميوباتي» مجال جيد لتوفير العملات الخارجية، لأن العلاج في الهند وخاصة في كيرالا تكاليفه زهيدة بالنسبة للدول الأوروبية.

وفي حوار تال مع الدكتور أم. في. بيلاي يناقش ساتيشان موضوع الفرص التي قد تفتحها جائحة كورونا في مجال الصحة. الدكتور بيلاي طبيب إخصائي يترأس الشبكة الدولية لعلاج وأبحاث السرطان. وقد درس الطب في عدد من المؤسسات التعليمية الدولية مثل جامعة جافيرسون في أمريكا والجامعة الطبية في أوكلاند وجامعة فيرجينيا الطبية كما علم في هذه الجامعات. وفي الحوار معه يطرح عليه ساتيشان سؤالاً عن دور منظمة الصحة العالمية في التنسيق بين الدول العالمية بعضها مع بعض. فيجيب بيلاي أن أجمل شيء أعجبه في هذا الصدد التعاون غير النظير الذي وجد في عالم العلماء في مقاومة هذه الجائحة. يتمثل هذا التعاون في «التحالف لابتكارات التأهب الدولي»

وكذلك حين أغلقت الدكاكين عند الحجر الصحي تنقل التسوق إلى منصات الإنترنت. لما خاف الناس من لمس الأوراق المالية توجهوا إلى استخدام النقود الـديجيتالية. العالم الآن على أعتاب عصر العملات المشفرة مثل بيتكوين. وقد تستبدل الروبوتات بمكان الأيدي العاملة ويتقلص دور العاملين مما تستقوي سيطرة الرأسمالية واستغلالها بصورة جديدة. وقد يزداد تحكم الذكاء الاصطناعي على الأعمال الإدارية والمالية والصناعية. المدارس والجامعات أيضاً تنتقل إلى مواقع الإنترنت مما قد يؤدي إلى تقليل الحاجات إلى المباني في المستقبل. إذا تتوسع الفكرة إلى كيف أن الأزمات تتبدل إلى الفرص. يقول طوماس إن الحزمات التحفيزية التي أعلنتها الحكومة المركزية لا تفي بالغرض في هذا الصدد. الشركات الكبرى التي تستلم القروض من البنوك بموجب هذه الحزمات المحركة لا تستطيع الاستفادة منها بشكل مطلوب إلا إذا تتوفر العملات الصعبة على أيدي الناس بحيث تزيد قوتهم الشرائية؛ لأن الاقتصاد السليم مبني على دعمه من العرض والطلب. وهما عنصران متلازمان يحكمان اقتصاد البلاد. توازن السوق يعتمد على أن يكون العرض يساوي الطلب بشكل تام. ولو أن الحسابات المعروفة بـ«جن دهن» (حسابات تختص بالطبقة الفقيرة) قد تم فتحها في البنوك بموجب اقتراح الحكومة المركزية فلم تهتم الحكومة بضخ المال إلى تلك الحسابات كما يقول طوماس. ويشير إلى أن الحكومة الهندية لها أسوأ في الحكومة البريطانية التي قامت بتزويد قرابة ٨٠٪ من المال إلى عمال الشركات الخاصة مباشرة. وفي نظر طوماس للاقتصاد حالتان، إن كانت حالته في منحني بشكل حرف «أيل» (L Curve) (في الإنجليزية، فصعب صعوده إلى الأعلى. أما إن كانت في منحني بشكل حرف «في» (V Curve) قد يعود إلى حالته المستقيمة السابقة. فعلى الحكومات الحيطه والحذر أن لا يؤول المنحنى إلى L. ومن النقاط المهمة بهذا الصدد اقتراح «كوتش أوسيف تشيتيلا

وقد سبق له أن تقلد منصب الوزير المالي في ولاية كيرالا تسع سنوات. ولم يتردد المؤلف أن يضع الحوار معه في مقدمة سلسلة هذه الحوارات. يذكر فيه سجلات كثيرة جرت معه سابقاً مؤكداً أن هذا الحوار يختلف عنها تماماً؛ لأن هذا الزمان يختلف عن سائر الأزمنة السابقة حيث إن العالم قد تغير كثيراً بعد سيطرة جائحة كورونا على جميع أنحاءه. كان الركود الاقتصادي عام ١٩٣٠ من الأزمات الكبيرة التي واجهها العالم. نتيجة لهذا الركود وما تبعه من الحرب العالمية كانت هناك تحولات كبيرة في العالم. يطرح المؤلف سؤالاً عما ينتظر الاقتصاد طوماس من حالات ومآلات قد تأتي بها جائحة كورونا على المستوى الاقتصادي العالمي وخصوصاً في الهند وولاية كيرالا. يقول طوماس إن الأزمات، أيًا كانت طبيعتها، قد سببت تحولات كبيرة مثلما سبب الانهيار الاقتصادي في الثلاثينيات. هنا ينقل نظرية الدورة الطويلة التي تختص بالاقتصاد. سابقاً كان النقاش يتحور على دورة انحدار أو ازدهار الأعمال التجارية التي تنحصر في حدود ثماني أو تسع سنوات. أما هذه الرؤية الجديدة فتتص على أن الظروف الاقتصادية صعباً وهبوطاً تتم بشكل دوري يمتد من ٢٠ إلى ٢٥ سنة. ولذلك الجميع مشغولون في الفكر عن مستقبل اقتصاد بلادهم في مرحلة ما بعد كوفيد. قبل أن يكون كورونا سيد العالم كانت العولمة واقتصاد السوق تضيّقان اقتصاد البلدان المتطورة وغير المتطورة. كنا نتمنى عالماً بلا حدود. ولكن كورونا أغلق أبواب جميع البلدان بحيث يعيق التبادل التجاري بانسياب. كنا نعتقد أن ظواهر مثل العولمة واقتصاد السوق وهيمنة البلدان النامية غير قابلة للتغيير. ولكن جائحة كورونا جعلتنا نفكر في البدائل في جميع الحقول. لما آل عز العولمة إلى أوفوله بدت الأسواق المحلية تستعيد عافيتها من جديد حتى أن رئيس الوزراء الهندي بدأ يتحدث بصوت عالٍ عن الاعتماد على الذات، ودوي الهتاف الذي رفعه جوهر لال نهرو الذي يحاول مودي تعميم صورته في المشهد العام.



«مادهو سودانان» في الحوار الذي أجراه معه ساتيشان. وهو حائز على الدكتوراه في إدارة الأنهار من معهد التكنولوجيا الهندي بمومباي. كانت هذه الدكتوراه لدراسته في موضوع التغييرات التي طرأت على توفر المياه بسبب التغييرات في الطقس واستخدام الأراضي. وقد مُنحت لدراسته جائزة أفضل بحث عام ٢٠٠٤، كما مُنحت له جوائز أخرى من معهد «ماساتشوستس للتكنولوجيا» بالولايات المتحدة لمساهماته في حقول الطاقة المتعلقة بالمشاريع الكهربائية الصغيرة. ويجدر الذكر هنا أن فريقا برناسته كان قد تنبأ بالفيضانات الكبيرة التي تعرضت لها كيرالا عام ٢٠١٨. الحوار مع «مادهو» يتضمن معلومات مفيدة في اتخاذ الخطوات اللازمة والمسبقة للتحكم بالكوارث الطبيعية مثل الفيضانات. يقول مادهو إن كيرالا منطقة قريبة من الخط الاستوائي تتوافر فيها كثرة الطاقة الشمسية التي تؤدي إلى أفضل نظام بيئي عضوي ممكن. ولهذه الظاهرة سببان، أولهما الطاقة الناتجة من الشمس، وثانيهما المطر الغزير. مثل هذه المناطق لا توجد على الأرض إلا ١٠٪، وتوجد فيها ٤٠٪ من الموارد البيولوجية في الأرض. تؤكد البحوث الجديدة على أن هذه المناطق لها دور كبير في التحكم بإجمالي الحرارة في الأرض. أي تغيير في مناخها ولو بدرجة أو درجتين سيؤدي طبعاً إلى كوارث. إن التغيير في أسلوب حياة الناس واستخدامهم الأراضي والطاقة جميعاً ستؤثر عليها سلبياً. لتفادي الكوارث الطبيعية يُلفت الدكتور مادهو نظر الجهات المختصة إلى أمرين، أولهما المطر على المناطق الجبلية وثانيهما التغيير الذي طرأ في استخدام الناس الأراضي. وقد اختفت الغابات الكثيرة في المناطق الجبلية بعد أن جعلها الناس مناطق سكنية وحضروها بحثاً عن المواد المعدنية. المطر الذي ينزل على الجبال لا يسيل مباشرة إلى الأنهار. فضلاً عن هذا إن مقاومة الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات تعتمد على إدارة السدود ومياه الأنهار. قبل هطول المطر الغزير يجب ضخ المياه من خزانات السدود إلى الخارج. وللسدود والأنهار عدة إدارات في كيرالا مثل إدارة الكهرباء والري وتوزيع شرب المياه. ولتكون إدارة السدود ناجحة ومفيدة يجب أولاً أن تكون هذه الإدارات إدارة موحدة. هكذا يقدم مادهو مقترحات بناءة تجعل مقاومة الفيضانات مؤثرة. وفي الكتاب حوارات أخرى تدور حول الزراعة والصحة النفسية والرياضة كلها مفيدة جداً.

#### الكتاب: حوارات

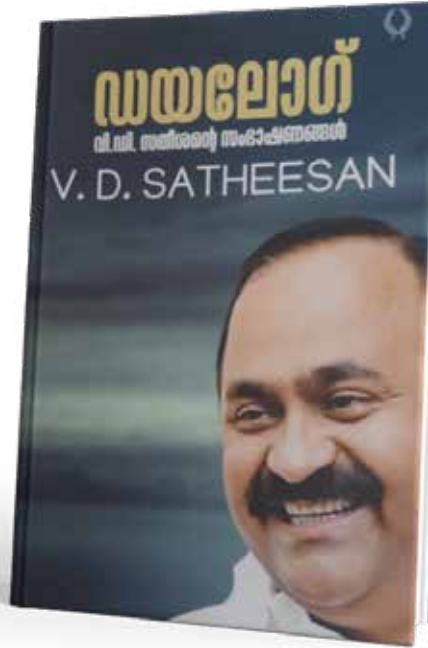
الكاتب: في. دي ساتيشان

اللغة: مالايالام، عدد الصفحات: 162

سنة النشر: 2021

الناشر: «أوليف»، كوزيكود، كيرالا

\* مستعرب هندي



يختارون مجالاً خاصاً لمدة خمس سنوات ويتخذون القرار لأن يكونوا الأوائل في ذلك المجال ويبدؤون تدريب الفنيين مسبقاً. ويشير إلى ما شاهده في زيارة إحدى الجامعات الصينية حيث وجد مصنعا في طبقتها الأرضي. إن أول حقل يتعرض للضربة الشديدة عند الأوبئة هو السياحة والسفرات. وهي ضربة شديدة وسيئة وطويلة المدى في قول جوس دومينيك، من الرعي الأول الذي قدم أفكاراً جديدة في صناعة الفنادق في كيرالا. يملك جوس الذي بدأ حياته الرسمية كمحاسب قانوني عدداً من المنتجات الفاخرة في مختلف أنحاء كيرالا. وقد سبق أن عمل رئيساً للفرقة التجارية في كوشين ورئيساً لاتحاد الصناعات الهندية. يحاوره ساتيشان عن حالة السياحة الراهنة ووسائل إنقاذها من الانهيار. يقول جوس إن السياحة من الصناعات المتأخرة جداً في كيرالا. إنما بدأت في التسعينيات من القرن الماضي. وفي قديم الزمان كانت حقبة تُخصص لأضعف الأحزاب في الحكومات الائتلافية. كان السياح الذين يزورون كيرالا ذاك الزمان عدداً ضئيلاً جداً لا يتجاوز ٢٥٠٠٠ سنوياً. وقد غدى الآن مليون سائح. تصل إيرادات السياحة ١١٪ من إجمالي الإنتاج الداخلي في كيرالا. ولكن يشككي جوس أن الحكومة لم تعر لها اهتماماً كما تستحق. ويرى أن الحل للأزمة الحالية هو تشجيع السياحة الداخلية. كان يزور الهند ١١ مليون سائح قبل كوفيد بينما يزور ٢٢ مليون سائح هندي الدول الخارجية. لا أحد يزور الآن الهند كما لا يغادر أحد من الهند إلى الخارج. هذا يعني أن هذا العدد الهائل من ٢٢ مليون يمكن للهند الاستفادة منه بفتح سوق السياحة المحلية أمامهم. المهم تشكيل السوق الداخلي بدلاً من بيع منتجاتنا السياحية للخارج. كانت هناك كوارث أخرى واجهتها ولاية كيرالا قبل جائحة كوفيد، منها إعصار «أوكي» عام ٢٠١٧ والفيضانات في عامي ٢٠١٩ و٢٠١٩. وعن الكوارث الطبيعية مثل هذه يتحدث الدكتور

(The Coalition for Epidemic Preparedness Innovation) المعروف باسمه المختصر «سيبي» («CEPI») ومقره في نورفيجيا. بداية قامت بتمويله مؤسسة بيل جيتس ومؤسسة «فيلكوم» (Welcome Foundation) فإذن تقدمت دول كثيرة بما فيها الهند وعامة الناس بمساعداتهم السخية. يُركّز هذا التحالف على تطوير اللقاح لمقاومة الجوائح، ويقدم مساعدات مالية لأي دولة تهتم بإنتاج اللقاح. والخطوة الثانية بهذا الصدد هي شبكة الفيروسات العالمية (Global Virus Network) شاركت فيها ٣٢ دولة. ويوجد تحت الشبكة ٥٢ مركزاً في أنحاء العالم المختلفة. أحد هذه المراكز سيتم افتتاحه قريباً في «تيروفانانتابورام» عاصمة كيرالا. إن بناء هذا المركز في مساحة ٢٥ فدانا من الأراضي يجري على قدم وساق. ولـ بيوتكنولوجيا راجيف غاندي ومعهد «أمريتا» الطبي علاقة مع هذه الشبكة، غير أنها منحصرة في حدود المختبرات. أما المركز المزمع بناؤه تحت الشبكة المذكورة فمجاله أوسع من المختبرات. وسيكون له عدد من أقسام مجهزة. وفي حالة انتشار أي وباء في أي منطقة من مناطق الهند سيتم اكتشاف فيروسه من خلال الأجهزة الموجودة في المركز. وكذلك يوجد فيه قسم للبحوث في الصحة العامة، وقسم لتدريب الفيروسولوجيين وقسم لإنتاج اللقاح. وفي رأي «بيلاي» أن كوفيد ستخفف شدته تدريجياً حتى يكون مرضاً موسمياً.

الحوار مع الدكتور دي. «فيجايا راجهاقان»، الرئيس التنفيذي لحديقة التكنولوجيا في «تيروفانانتابورام» التي غيرت جيوغرافيا الصناعة التكنولوجية المعلوماتية، يدور حول الاتجاهات المتغيرة في مجال الأشغال. وكان له دور حاسم في تخطيط كيرالا الاقتصادي حين كان عضواً في هيئة التخطيط. وقد ثبت أن القطاع الخاص والقطاع العام إن تعاوناً معاً يستطيعان أن يخلقا العجائب في إحراز التقدم والازدهار في الولاية. يرى أن سوق العمل جميعاً لن تغلق أبداً بعد كوفيد بل قد تفتح مجالات وفرص جديدة. وقد فقد كثير من الناس وظائفهم في صناعة السفرات والخطوط الجوية في زمن كوفيد، ولكن في مرحلة ما بعد كوفيد ستعيد هذه الصناعات عافيتها حتماً، وربما تأخذ وقتاً طويلاً لذلك. ويشير إلى البطالة عند الأزمة الاقتصادية عام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ وقبل ذلك إبان الحرب العالمية الثانية وكيف أن العالم تغلب على تلك الأزمات. وكذلك في زمن حين كان الشباب في كيرالا مشغولين بالكتابة الصوتية (Transcription) للأطباء في أمريكا. ولما فقدوا مجال ذلك العمل تنقلوا إلى مجال آخر متعلق بالإيرادات الطبية. وعملية الروبوتات والذكاء الصناعي أيضاً قد تأتي بأشغال ملتحة بها. وعلينا التأهب والاستعداد لذلك. وعلينا تبديل سياساتنا في التعليم والتربية. يجب أن يكون التعليم عملية مستمرة. لأن مجال التكنولوجيا متطور باستمرار. فمن توقف خلال هذا التطور وتأخر قطاره فلا ينتظره المستقبل. ويشير إلى التخطيط الذي تقوم به الصين في هذه الصدد. وهم



## دون تمييز بالدين والعرق أريئلا بوبر- جفعون ويعيل كيشت

أحمد أشقر \*

كشفت جائحة كورونا عن حجم الطاقم الطبيّ العربي ودوره ومُعاناته في جهاز الصحة الإسرائيلي، إذ يشكل الأطباء والمرضون والصيدالّة وفقاً لمعطيات متداولة وشبه رسمية 21، 25، 35% على التوالي، وتتجاوز نسبة العرب من سكان الدولة والبالغة 19%، كما أنها تتجاوز نسبتهم في كافة قطاعات التشغيل والعمل الأخرى. أما قبل عقدين ونصف من الزمن فقد كان عددهم متدنياً جداً نتيجة اقتصار سياسة الجامعات الإسرائيلية على قبول 10-15 طالباً للطب كل سنة بتوزيع طائفيّة. فيما كانت الدول الاشتراكية السابقة تقبل عدة أضعاف هذا العدد منهم. هنا نطرح السؤال: ماهي العوامل وراء زيادة نسبة الطاقم الطبيّ العربي في الكيان؟

الطبيب الفلسطيني حمزة، ومشفى (هعيمق/ المرج) في مستعمرة العفولة في مرج ابن عامر يسميه العرب مشفى الرهوة على اسم التلة التي أقيم عليها.. ومشفى (فولفسون) في مستعمرة (رحوفوت) إلى الجنوب من مدينة يافا هو مشفى الدكتور الدجاني. ولولا إقامة دولة إسرائيل لبقيت هذه المشايخ العربية. ورغم حاجة إسرائيل للأطباء إلا أنها ترفض تثبيت الأطباء العرب وتحسين ظروف عملهم. ففي تاريخ 17. 10. 2021 قررت حكومة إسرائيل استقدام 3000 طبيب يهودي من العالم، وصل منهم حتى الآن 70 بدأوا التدريب في مشفى (رمبام) في حيفا، للجم نسبة الأطباء العرب لمنعهم من تشكيل جسم عربي وازن أو نقابة مستقلة تطالب بحقوقهم. وتكشف نسبة الأطباء العرب من الباحثين التي لا تتجاوز 2%، و 6% من المتخصصين، والمدير العربي الوحيد لمشفى يهودي من بين 87 مشفى في إسرائيل والبالغ عددها 90 منها ثلاثة تبشيرية في الناصرة تم إقامتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مديروها هم من العرب والأجانب أحياناً، عن هشاشة وضعهم والعنصرية تجاههم.

تنطلق الباحثتان في (الفصل الثاني: العرب في المهن الصحيّة) من موقف العرب من التعليم الذي تبنيه بعد النكبة مباشرة والقائل إن تطوّرهم يتم عن طريق توسيع التعليم المدرسي والجامعي، لأن الاحتلال هدم وسيطر على مصادر ثروتهم من أراض ومياه وجهاز تعليم مستقل وأغلق الحدود بينهم وبين أبناء أمتهم في المحيط العربي. وفي المقابلات التي أجريتها مع بعض العاملين العرب في هذا الجهاز أكد جميعهم على الرغبة بتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية لأن هذا الجهاز مفتوح نسبياً ومتعشش لكوادر جديدة. وتضيفان: «لكن هذه الكوادر اكتشفت أن العنف

تقم إسرائيل بإنشاء أي مشفى في هذه المناطق العربيّة فيما حاصرت المشايخ الثلاثة في الناصرة بشحّ الميزانيات والعقبات الإدارية الأخرى.

الكتاب الذي بين أيدينا لا يُعنى من قريب أو من بعيد بما ورد أعلاه، بل يبحث في التوترات «الإثنوقومية» أو العنصرية ضدّ العرب في الجهاز الصحيّ داخل المشايخ، مثل الشكوك بين الطرفين أثناء انفجار الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين كالحروب والعمليات التفجيرية المختلفة. والطرفان هما الطاقم الطبي والمرضى العرب-مقابل الطاقم الطبي والمرضى اليهود. وهو محاولة لكشف التوترات التي يتناساها العرب واليهود (المقدمة ص 8-10)، إضافة لهذه المقدمة يضم الكتاب أربعة فصول.

تبحث كل من الكاتبتين أريئلا بوبر- جفعون ويعيل كيشت في (الفصل الأول- المساواة في العلاج الصحي) في روح الحيادية المهنية فتقولان أن الشائع في الطب المعاصر هو روح الحيادية إذ لا فرق في التعامل على أساس العرق أو الدين أو الجنس، لأن جسد الأطباء والمرضى «يتحرر» من كل التعيينات التي تميّز الوجود الإنساني. لكن هذا الرأي انهار مع الحرب العالميّة الثانية عندما تعامل الجهاز الطبيّ النازي على أساس عرقيّ. وتضيفان بالقول أن روح الحيادية هي التي يجب أن تُدير الجهاز الصحيّ في إسرائيل، لكن المقابلات التي أجرتها الباحثتان بين سنتي 2016-2017 مع العرب في المشايخ كشفت عن عنصرية سائدة ضدّ العرب ولا يوجد للجهاز الصحي طرق واضحة لحلّها، لذا يتم إلقاؤها على الكوادر الطبيّة العربيّة واليهوديّة لحلّها (ص 11-23). يمكن القول أن العنصرية المبحوثة هي تحصيل حاصل للنظام الاستعماريّ في فلسطين، وتبدأ قبل دخول المشايخ، مثلاً، فمشفى (رمبام) في حيفا أسسه

تضافرت عدة متغيرات وجهود في إسرائيل أدت إلى هذا الانقلاب والتغيير، وكان أولها تركيز الدولة على قطاع المعلوماتية ذي الصبغة الأمنية الواضحة، وذي الرواتب والأرباح الخيالية، ممّا أدى إلى توجّه قطاع كبير من العرب إلى هذه القطاعات. الأمر الذي أدى إلى عزوفهم عن دراسة الطب والعلوم الصحيّة لأن الرواتب والأرباح أقل بكثير من أرباح المعلوماتية، مما أدى إلى انخفاض عدد الأطباء اليهود. عندها قامت الدولة باستجلاب أطباء يهود من فرنسا، والمكسيك، والبرازيل والهند لكن صعوبة العمل في قطاع الطبّ أدى بغالبية هؤلاء الأطباء إلى العودة إلى أوطانهم أو الانتقال إلى مهن أخرى أقل صعوبة وأكثر ربحاً. وفي نفس الفترة أدت اتفاقايتا أوسلو سنة 1993 ووادي عربة 1994 إلى توجّه الطلاب العرب من مناطق الـ 4 إلى دراسة الطبّ في الجامعات الأردنية والفلسطينية، وتحديدًا الجامعة العربية الأمريكية في جنين لأنها خاصة. ومع تحسن الوضع الاقتصادي لعرب 48 بدأ الأهالي يرسلون أبناءهم للدراسة في أوروبا. لكن إسرائيل التي تجري امتحانات مزاولة المهنة للأطباء الجدد هندست نسبة الناجحين من هؤلاء الخريجين ما بين 6% - 20%، أي حسب احتياجات قطاعها الطبي. وفي فترة الكورونا رفعت النسبة لتصل إلى 25%. أما المتبقون من الخريجين، ويقدر عددهم بـ 300 طبيب، فقد غادر بعضهم البلاد ليزاول مهنة الطب هناك أو البقاء في البلاد ليعمل بما هو متاح له من أعمال جسديّة وذهنية أخرى. ويمكن التأكيد على أن كثرة الأطباء العرب هو نتاج جهد عائلي عربي متّحد لسياسة الدولة من أجل ضمان أماكن عمل ثابتة لأبنائها في ظل تفضي البطالة بين العمال وسائر المهنيين العرب. ورغم تزايد عدد الأطباء والعاملين العرب في جهاز الصحة لم



بالعربية بين أعضاء الطاقم الطبي العربي؛ والنقاشات والخلافات السياسية بين طاقمي العمل من اليهود والعرب. ثم تخلصان إلى ضرورة الدمج بين منهجي التأهيل الثقافى والبنوي لوضع سياسة مناسبة لمنع وحل مثل هذه التوترات (ص ١٠٨ - ١٢١). العنصرية التي تتحدث عنها الباحثتان ليست خافية على أحد من العرب واليهود الذين مارسوا مثلها أو سمعوا عنها والتي أشهرها كانت رفض عضو الكنيست الفاشي (بتسلعل سموريتش) من مشاركة زوجته في غرفة ولادة مع نساء عربيات أخريات، في نيسان ٢٠١٦. والتوترات داخل المشاي تتحول أحيانا إلى حالة قلق وخوف للعائلات العربية على مصير أبنائهم الأطباء ممن «تورطوا» في تصريح يعارض سياسة المؤسسة. وكذلك قلق بعض أهالي الأسرى الذين يُنقلون لتلقي العلاج في هذه المشاي. ومن أبرز وأقسى هذه التوترات هو ما كشفه التحقيق الصحفي: «أبناؤنا نُهبت أعضاءهم»، لكتابه السويدي (دونالد بوستروم) في صحيفة (أفتونبلاديت) في السابع عشر من آب ٢٠١٠ الذي يؤكد فيه أن إسرائيل سرقت أعضاء الشهداء العرب. كما سمعت على لسان الباحث اليهودي المعادي للصهيونية (عكيفا أور) أن مبحثي الجراحة والتشريح الطبيين تطورا كثيرا في «إسرائيل»، لأن المؤسسة العسكرية اعتادت أن تزود كليات الطب ومعاهد التشريح المختلفة بجثث الضحايا وبقيّة العرب الذين كان جيشها يقتلهم، لاستخدامها لأغراض التدريب العلمي طبعاً.

في النهاية يمكن القول إن رغبة الباحثتين في العمل على إيجاد حلول للعنصرية التي يواجهها الطاقم الطبي والمعالجون العرب في المشاي الإسرائيلية رغبة طيبة إلا أنها مثالية ولا يمكن تطبيقها لأن النظام الاستعماري اليهودي في فلسطين مبني على أساس الهرمية العنصرية البنيوية ولا يمكن اختراقها في ظل الواقع القائم.

\* باحث في الدراسات الدينية ومترجم من فلسطين



مفرطة تجاه العرب في الضفة وغزة ولبنان، شفاهاة، وفي وسائل التواصل الاجتماعي. أما إذا تماثل أي فرد من الطاقم العربي مع العرب المعتدى عليهم فإن إدارة المشفى تستدعيه لتوجه له التحذير (ص ٥٩ - ١٠٧). ويمكن القول إن العنصرية التي تتحدث عنها الباحثتان هي الأكثر شيوعاً وصعوبة على الطاقم الصحي العربي لدرجة أن بعضها يصل إلى وسائل الإعلام. وكثيراً ما قرأنا وسمعنا عن يهود من الطاقم الصحي والمرضى يتمنون الموت للأسرى العرب الذين يحضرون للعلاج في المشاي؛ أو تمنوا على الجيش ضرب غزة بالسلاح النووي وإبادة كل عرب فلسطين ولبنان. رغم شيوع التعبيرات العنصرية والإهانات، إلا أن الطاقم الصحي العربي يفضل الصمت والغضب الكامن لأنه يعلم أنه الخاسر في أية مواجهة مع الإدارة أو وسائل الإعلام. ثم تختمان الفصل بالاعتراف بعدم وجود سياسة رسمية من قبل الدولة أو المشاي لعلاج مثل هذه الظواهر. في (الفصل الرابع - كيفية التعامل مع التوترات الإثنو- قومية في جهاز الصحة) تعترف الباحثتان بعدم وجود سياسة واضحة للتعامل وحل مثل هذه العنصرية حيث يتفق متخذو القرار في وزارة الصحة والمشاي المختلفة على التغافل عن مثل هذه العنصرية التي تتجلى أثناء استضافة العرب واليهود في غرف مشتركة؛ ورفض تلقي العلاج من طبيب عربي على خلفيته القومية؛ ورفض الطاقم الطبي اليهودي علاج الأسرى وجرحى الاعتداءات والمعارك من العرب، وصعوبة تقديم الطاقم العربي العلاج للجنود اليهود الجرحى؛ ولغة الحديث

والتمييز فيه هو نفس العنف والتمييز خارجه كما في كل الأجهزة والقطاعات الأخرى». وتؤكدان أيضاً على أن نسبة النساء العربيات فيه أقل من نسبتهم في أسواق العمل الأخرى. وتخلصان بنتيجة أن العرب في هذا الجهاز يعانون من التمييز والعنصرية (ص ٢٤ - ٥٨). هذا صحيح. لكن هنالك قضايا أخرى أكثر خطورة على الأطباء العرب لغياب المشاي والعيادات الصحية المتطورة في أماكن سكنهم. فتقوم السلطات استيعاب غالبيتهم في هذه الأماكن، الأمر الذي يحرمهم من تحقيق أرباح مالية واجتماعية أخرى، مثل التدرج في السلم الوظيفي المتوفر للأطباء اليهود، ويتم توزيع البعض في مشاي اليهود وسط البلاد وجنوبها، المقرون بإضافة أعباء مالية واجتماعية مثل انتقال العائلة للسكن هناك، الأمر الذي يشكل عبئاً عليها لعدم وجود أطر تربوية اجتماعية عربية مناسبة لها ولأبنائها، لذا تضطر إلى إرسال الأبناء إلى أقرب مدرسة عربية تبعد عشرات الكيلومترات يومياً، أو العودة إلى القرية الأصل وخسارة مكان عمل مناسب، أو خسارة الأبناء لهويتهم العربية (والدينية) لصالح هوية إسرائيلية مشوهة، كما حدث للكثيرين ممن درسوا في مدارس يهودية. لذا أعتقد أن المؤسسة الإسرائيلية الرسمية هي التي تخلق مثل هذه الإشكاليات لتبقى العائلة العربية غير مستقرة مكانياً ونفسياً ومنع تطور كادر طبي يسعى لتطوير مجتمعه. يمكن القول إن سياسة توزيع الطاقم الطبي العربي على كافة مشاي وعيادات وصيدليات الكيان من شمال فلسطين إلى أم الرشراش، «إيلات» سياسة رسمية تهدف المؤسسة من خلالها إلى تفكيك العائلة العربية وجعل حياتها اليومية صعبة للغاية. في (الفصل الثالث - يهود وعرب في منظمات الصحة - توترات، آراء مسبقة وتعايير عنصرية) تتحدث الباحثتان عن التحديات التي تواجه الطاقم الصحي والمرضى العرب، حيث يُظهر قطاع من اليهود رغبتهم بتلقي العلاج من أطباء يهود، وعدم مشاركة المرضى العرب غرفاً مشتركة، بينما العرب كانوا سعداء بالالتقاء مع اليهود. وفي بعض الحالات رفض المرضى اليهود تلقي العلاج من الطاقم الطبي العربي نتيجة مواقف مسبقة وعنصرية أخرى، بينما فضل بعض العرب تلقي العلاج من طاقم عربي بسبب سهولة التواصل باللغة العربية، التي تشكل سبباً للتوتر مع الطاقم الطبي اليهودي، والذي تصل قمته خلال المعارك والعمليات والحروب المختلفة، حيث يعبر خلالها غالبية اليهود عن عدائية



## مرحباً يا غريب: كيفية التواصل في عالم منقطع ويل باكنغهام

طلال اليزيدي \*

أثناء وباء كورونا المستجد كانت إحدى الخسائر العميقة التي عانينا منها أثناء الحجر الصحي، لا سيما الذين حالهم الحظ بما يكفي بعدم فقدان أفراد عائلاتهم بفتك الوباء، هي الانقطاع عن الأشخاص الذين لم نكن قريبين منهم. ف شخصياً خلال هذه الفترة تقطعت إلى الندوات الاجتماعية والمؤتمرات الأكاديمية، والمحادثات في استراحات القهوة مع الأشخاص الذين أراهم مرة واحدة بعد طول انقطاع. خلال فترة الحظر الصحي وطول فترة الابتعاد عن الناس كان من الواقعي خلال فترة الحجر القسري أن ندرك مقدار ما نكسبه من علاقتنا الاجتماعية من أقرب الأشخاص لنا حتى أولئك الذين لا تربطنا معهم علاقة حميمة، ولكن من وجودهم نستمد الراحة والتحفيز.

من المحتمل أن يكون عدائياً. أحد مظاهر الوجود الدائم في الكتاب هو ملحمة هوميروس اليونانية، ومخاض أوديسيوس في العودة إلى الوطن باعتماده المحفوف في كثير من الأحيان على الغرباء وكرم ضيافتهم على طول الطريق حول البحر المتوسط. فمفهومنا عن اللجوء "asylum" وإيواء الآخرين مستمد من المفهوم اليوناني القديم "Asulia"، فكرة أنه يمكن لأي شخص غريب أن يبحث عن ملاذ في المعبد، حتى لو كان بربرياً. بسبب هذا المفهوم تأسست روما وأصبحت قوية لأن رومولوس باني ومنظر مدينة روما قدم للعبيد الهاربين ملجأ إذا شاركوا رؤيته لبناء مدينة عظيمة. لطالما امتلأ الدين بفكرة الغريب أيضاً. يتظاهر الملائكة بأنهم غرباء في كتب العهد القديم ليختبروا البشر، الإله زيوس تنكر في زي غريب للتعصت على الأرواح البشرية. تلك التجارب التاريخية مع الغرباء إلى حد ما تشبه رحلتنا واعتمادنا على الغرباء عند الحاجة والسفر. أن تكون غريباً يعني أيضاً الشعور بالوحدة. نجد أنفسنا غرباء في أغلب الأحيان عندما نسافر. كان لدى المرتزقة السويسريين في القرن السادس عشر كلمة تشير إلى هذا المزيج من الوحدة والحنين إلى الوطن الذي يأتي بنا في الخارج فأطلقوا عليه «مرض الحنين للوطن». كانت هناك تقارير عن هؤلاء الجنود الذين سمعوا أجراس البقر، فاعتقدوا أنهم في ديارهم بسبب حنينهم فمضوا وماتوا.

في هذا الكتاب يكون باكنغهام في أفضل حالاته عندما يستكشف سيكولوجية هذا العالم بالأخص في التفاعل مع الغرباء. يستكشف باكنغهام الخطوات عند الالتقاء بشخص غريب حيث البدء بالمقدمات للتعرف في

بمرض السرطان. كان يتوقع أنه سيكون في حاجة إلى الأصدقاء في أعقاب وفاة زوجته. لكنه استغرب حاجته إلى أشخاص غرباء ليقص عليهم مأساته. يروي في كتابه: «لقد فوجئت بمدى احتياجي أيضاً إلى الغرباء أشخاص لا يعرفون شيئاً عن إلي ولا يعرفون شيئاً عن خصوصيات حزني». حتى قبل وفاة زوجته، قضى باكنغهام الكثير من حياته وسط الغرباء. أثناء نشأته كان منزل والده القس عبارة عن منزل مفتوح للمصلين وأطفال الشوارع والمشردين. وكشخص بالغ، سافر كثيراً وقضى فترات طويلة في الاستكشاف والعمل والتعلم في إندونيسيا والصين وميانمار وأماكن أخرى. في الواقع حتى بعد تشخيص زوجته بالسرطان استمر في السفر للتدريس في تشنغدو، ولم يعد لوطنه إلا عندما اتضح أن المرض قد دخل مرحلته النهائية.

كتاب «مرحباً يا غريب» متجذر من تفكير طويل وتقليدي من العيش في عالم يحيط بنا فيه الغرباء، وحاجتنا أيضاً إلى ملذات وراحة المنزل. خبرات باكنغهام الأنثروبولوجية جلية في هذا الكتاب، مدعومة بمعرفته بالتاريخ القديم والآداب والأساطير. سرد باكنغهام العديد من الملامح التاريخية لأحداث توثق دور الغرباء في الثقافة البشرية عبر التاريخ، وسنستعرض بعض هذه المواقع في هذه المراجعة. يقترح باكنغهام أنه من المحتمل أن مفهوم الغريب أصبح قوياً في الثقافة الإنسانية منذ العصر الحجري الحديث حيث أفسح هذا العصر المجال أمام ظهور الزراعة وبيدات استقرار البشرية في المدن. فعندما بدأ البشر بزراعة المحاصيل كانوا بحاجة إلى بناء سياج لحماية تلك المحاصيل، فكل شيء في الجانب الآخر من هذا السياج أصبح غريباً وبالتالي

خلال فترة ما بعد الوباء نفكر ونسترجع تجاربنا مع الحظر الصحي القسري، من جانب آخر يشهد العالم ازدياداً في أرقام الهجرة العالمية بشكل بارز. ناقش باكنغهام هاتين الظاهرتين المنفصلتين وربطهما في كتابه بعلاقتنا وتقاليدنا الاجتماعية بين القريب والغريب. جمع باكنغهام في مزيج رائع رؤى الفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم النفس والتاريخ والأدب لاستكشاف تقاليدنا في مقابلة الآخر وكيف من الممكن تحسين هذه العادات لتخفف من مشاكل عصرنا. تتطرق باكنغهام في كتابه «مرحباً يا غريب» (hello stranger) إلى قصص الوحدة والنفي والصدقة من العصور الكلاسيكية إلى العصر الحديث، وإلى السفر والتكيف في مجتمعات شتى من مدينة برمنغهام في بريطانيا حيث إقامته إلى ميانمار. يناقش باكنغهام وضع كراهية الأجانب والخوف من الغرباء الغريبة لدينا جانباً واحتضان طبيعتنا في حب الغرباء والإيثار، بنفس القدر. البشر كونوا مفهوم «الغريب» منذ زمن البشر الأوائل، فمنذ ذلك الوقت حتى وقتنا الحاضر شكل البشر الكثير من عاداتهم ومعاملاتهم الاجتماعية حول مفهوم الغريب والقريب. قلوبنا في معظم الأحيان مضطربة نحتاج إلى العزلة من الناس وفي نفس الوقت نحتاج إلى الأصدقاء. في كتاب «مرحباً يا غريب»، يقدم باكنغهام خريطة لاتباعها الآخرون في حياتهم ضمن نسيج من الغرباء والأقرباء.

في كتاب «مرحباً يا غريب»، يقدم ويل باكنغهام (Will Buckingham) عالم الأنثروبولوجيا استكشافاً أنيقاً ومؤثراً فيما يعنيه التواصل مع الغرباء. نقطة انطلاق الكتاب هي الحزن الذي راوده بعد وفاة زوجته إلي



كأشخاص نعرفهم جيداً ورتبط بهم، فنحن نميل من الناحية التطورية إلى رؤية بقية العالم على أنه «الغريب الآخر»، والذي ربما يفسر الرعب والقسوة على وسائل التواصل الاجتماعي. على الرغم من جميع الملاحظات التحذيرية التي طرحها باكنغهام في كتابه حول صعوبات التعامل مع الغريب لم يتطرق حقاً إلى الصعوبات المتعلقة بالاتصال عبر الإنترنت، المليئة بالكراهية ونداءات العنصرية من أشخاص غرباء إلى غرباء آخرين. في الجانب الآخر الكثيرون من مستخدمي الإنترنت على وسائل التواصل الاجتماعي يحاولون بشدة ردع الكراهية حتى لا يشعروا أن الإنترنت يبرز كراهية الأجانب أكثر من الفيديوكسينيا.

العالم الحديث وبالأخص في المدن الضخمة يجبرنا على العيش جنباً إلى جنب مع ملايين الأشخاص المجهولين. البشر بالفطرة على حد سواء لا يستحسنون الأجانب (xenophobic) وهذا يعني الخوف من الغرباء في هذه الحالة وليس الكراهية، ولكن كمخلوقات اجتماعية نحن أيضاً (philoxenic) نحب الغرباء. على سبيل المثال المهرجانات الحديثة والقديمة سواءً تسمح للبشر الذين يخافون من بعضهم البعض فطرياً أن يستمتعوا مؤقتاً بمتعة فقدان أنفسهم وسط حشد من الأشخاص المجهولين. في نهاية الكتاب حاول باكنغهام التنبؤ بسلوكيات البشر مع الغرباء في المدن الضخمة في خضم تسارع التمدن بالأخص في الدول النامية في السنوات القادمة. باكنغهام طرح تساؤلات جوهرية حول أضخم مدينة في العالم قيد الإنشاء والتي تتباهى بها الصين. حيث قريباً ستندمج بكين وتيانجين وهبي في كتل كبير واحد يسمى جينجيني جي يضم ١٠٠ مليون شخص، مدينة يبلغ عدد سكانها تقريباً حجم فرنسا وإسبانيا معاً. ينهي باكنغهام كتابه ببعض الملاحظات الحزينة، فعلى الرغم من التعداد السكاني الضخم لجينجيني تكهن باكنغهام أن معظم قاطني هذه المدينة سيعيشون في نسيج ضخم من الغرباء وسيعانون من وحدانية عميقة وصعوبة تكوين علاقات إيجابية.

#### الكتاب: مرحباً يا غريب: كيفية التواصل

في عالم منقطع

الكاتب: ويل باكنغهام

عدد الصفحات: 293

لغة النشر: الإنجليزية

سنة النشر: 2021

\* كاتب وباحث عُمانى



رحيم باكنغهام إلى منزله لتناول الشاي، وقدم رحيم إلى باكنغهام كميات كبيرة من الطعام. ولكنه شعر في البداية بعدم الارتياح لقبول هذا السخاء لخوفه من الأكل من موارد رحيم الشحيحة. لكن باكنغهام استنبت من كرم رحيم «أن قدرته على التصرف كمضيف ربما ساعدته في إنقاذ إحساسه بالإنسانية وفاعليته في مواجهة العالم اللإنساني». على الرغم من ذلك الإيثار في الضيافة هناك حد حتى في أكثر تقاليد الضيافة تفصيلاً كما هو الحال في شبه الجزيرة العربية ومنغوليا، فإن الضيف عليه واجبات ليس فقط قبول الطعام والمأوى، ولكن أيضاً المغادرة في الوقت المناسب وبالطريقة الصحيحة. المبادرة بالضيافة تكون دائماً مصحوبة بالمخاطرة والثقة. ليس من قبيل المصادفة أن يتم ربط قوانين الضيافة في كثير من الأحيان بقواعد الشرف التي تدين أولئك الذين ينتهكونها بأقصى الأقدار. فعلى سبيل المثال ذكر باكنغهام قانون كانون Kanun الألباني الشمالي الذي مر عليه أكثر من ٣٠٠٠ عام، لكنه لا يزال هذا القانون يمارس سلطته إلى اليوم. يتطلب الشرف من المضيفين التخلي عن أسرتهم وأفضل طعام لأولئك الذين يزورونهم. وعندما يتم إهانة هذا الشرف، فإنه يؤدي إلى ثأر يمكن ملاحقته عبر الأجيال.

العيش مع الغرباء ليس بالأمر السهل. على الرغم من البهجة المصاحبة للعمل الجماعي والإلحاح على الضيافة الموصوفة بوضوح في هذا الكتاب، فإنه ليس مجرد أنشودة لمدح الناس ودعوتهم لتناول العشاء. الدماغ البشري تأقلم منذ العصور القديمة ليكون قادراً حقاً على التعامل مع ١٥٠ شخصاً على أنهم «غير غرباء»،

الاجتماعات الأولى، وخرز النظارات، لينتقل البشر حديثي التفاعل من المجهول إلى المعروف. باكنغهام يسرد كل تلك العادات والطقوس المتعلقة بالتعرف على الغرباء التي لا نأخذها في الاعتبار أبداً في حياتنا، مثل تقديم الهدايا عندما نلتقي بعائلات الأصدقاء والأحباء لأول مرة، الذين نريد إقناعهم وجذبهم بسبب علاقتنا الحميمة بأصدقائنا على رغم من أنهم غرباء بالنسبة لنا. ومع ذلك نلتزم بشكل غريزي وبطريقة لا واعية بأن لا نكسر أيًا من هذه الطقوس الدقيقة عند التعرف بالغرباء. باكنغهام اعتبر كسر أي من هذه الطقوس التقليدية المتعارف عليها عند التعرف بالغرباء بمثابة موت التفاعلات الاجتماعية بين البشر.

لا يتجاهل باكنغهام في كتابه تقاليد كره الأجانب والريبة منهم، بل يؤكد أيضاً على تقليد التوازن في ظل مفهوم «الفيديوكسينيا»، وهي كلمة من العهد الجديد اليوناني تشير إلى الفضول والرغبة في التواصل مع أولئك الذين ليسوا مثلنا. الفيديوكسينيا تستحق الاهتمام وقد لاقت اهتماماً واسعاً من باكنغهام في كتابه. يتمتع البشر بتاريخ مليئاً بالاستضافة والترحيب والتواصل مع أولئك الذين ليسوا أقارباً. باكنغهام شخصياً مر بتجارب مع الاستضافة والترحيب من الغرباء في محطات مختلفة من رحلاته، تمثلت في ضغط الطعام في يديه ودعوته للبقاء في المنازل في كل مكان من بلغاريا إلى باكستان. بعد عودة باكنغهام إلى وطنه رد بالمثل على كل الاستضافات التي لاقاها في ترحاله. فخلال السنوات الأولى من زواجه وبعد مللهم من هدوء حياتهم في مدينة برمنجهام بوسط إنجلترا، فتح باكنغهام وزوجته شفتها للعالم عبر تطبيق couch surfing، تطبيق يسمح لك استضافة الغرباء الرحل في منزلك للنوم على الكنب أو سرير إضافي. كتب باكنغهام عن تجربته في استضافة الغرباء في منزله: «بينما كانوا يجتازون عتبة منزلنا، جاء ضيوفنا حاملين هدايا غريبة ورائحة، زجاجات المشروب الكحولي الطبي الفعّال من المجر، وكميات كبيرة من جين البارميزان محلي الصنع من مزرعة عائلية في إيطاليا، والحلي المصنوعة منزلياً. ذات مرة استضفنا طاهي فطائر سوري، فأعد طبخة الفطائر الخاص به في مطبخنا وأعد وليمة من الكريب والجالييت».

ضيافة الغرباء ليست مجرد إيثار، بل من الممكن أن تكون أيضاً مسألة التزام واحترام وكرامة. يتذكر باكنغهام في كتابه «رحيم» اللاجئ الإيراني الذي كان يدرس في برنامج للكتابة في مدينة ليستر بإنجلترا أعده باكنغهام. دعا



## رأس المال الرقمي: منظور بورديو تجاه الفجوة الرقمية ماسيمو راجنيدا وماريا لورا رويو

محمد بن علي الإسماعيلي \*

يشغل هذا الكتاب الذي بين أيدينا الموسوم بـ: «رأس المال الرقمي: منظور بورديو تجاه الفجوة الرقمية» على دراسة مفهوم رأس المال الرقمي وتأثيره في صنع السياسات الاجتماعية؛ من طريق نظرية عالم الاجتماع والمفكر الفرنسي بيير بورديو، الذي قدّم عددا من المفاهيم المطورة عن البنيات الاجتماعية للاقتصاد. والمسألة كما يرى مؤلفا الكتاب محاولة جادة لتقديم مجموعة مقترحات تعرض مؤشرات لقياس كيفية استعمال رأس المال الرقمي على المستوى الفردي بناءً على نظرية بورديو؛ لمعالجة مظاهر الإقصاء الرقمي للمواطنين.

في الوقت نفسه من وجود فجوة رقمية في الطرف الآخر من المجتمع، إذ ترتبط الكفاءات الرقمية الفردية بالفجوة الرقمية في آلية الوصول إلى الشبكة المعلوماتية واستخدامها؛ فمن طريق ذلك تتحدد جودة التجربة وأنواع الاستعمالات الرقمية للتأكد على ضرورة المساواة بين جميع الفئات؛ لضبط نوع المعلومات المتاحة.

### تشغيل رأس المال الرقمي

ويهدف الفصل الثاني إلى توفير أداة لتفعيل رأس المال الرقمي؛ بحيث يمكن استخدامها في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة من منظور مقارن، وفي نفس الوقت يضع مجموعة من المؤشرات لرأس المال الرقمي قابلة لاستخدامها نموذجاً تجريبياً لقياس المستوى الفردي لرأس المال الرقمي. بينما تشير إحدى تعريفات رأس المال الرقمي إلى أنه رأس مال محدد ومختصر، يضم العناصر المتعلقة بالقدرة على الوصول المادي إلى التقنيات الرقمية (الموارد الخارجية)، مع الكفاءات الرقمية للمواطنين (الموارد الداخلية)؛ وذلك لاقتراح نموذج تجريبي قادر على دمج إطراري الموارد الخارجي والداخلي؛ لتحديد مؤشرات الوصول الرقمي والفجوة الرقمية؛ أي عدم المساواة في الوصول وتأثيرها على التجربة الرقمية لأفراد المجتمع. ويتضمن هذا النموذج التجريبي خمسة مجالات للكفاءات الرقمية، هي: المعلومات - الاتصال - السلامة - إنشاء المحتوى - حل المشكلات. وقد اشتغل خمسة خبراء وباحثون في مجال عدم المساواة الرقمية؛ لتحديد المكونات التأسيسية لرأس المال الرقمي؛ من طريق إجراء استطلاع مجتمعي مسحي لعينات عديدة.

ويرتبط المكونان الرئيسيان لرأس المال الرقمي بعنصرين أساسيين، هما: الوصول الرقمي والكفاءة الرقمية، هذان العنصران قسماً إلى عدد من المتغيرات القادرة على التقاط الأبعاد المتعددة لتلك الفجوة الرقمية ومستوياتها المختلفة. ويشير الكاتب إلى دراسات عدة أكدت على أن عناصر الوصول الرقمي تبحث في المستوى الأول من الفجوة الرقمية اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، فيما تبحث عناصر الكفاءة الرقمية في المستوى الثاني ... ولفهم التعقيد والأبعاد المتعددة للفجوة الرقمية يجب أن تكون هنالك إمكانية للوصول إلى تكنولوجيا

لقياس رأس المال الرقمي، إذ يجادل في أهمية إضافة رأس المال الجديد إلى الأدوات النظرية، ويسلط الضوء على أهمية استعمال هذا المفهوم بين علماء الاتصال والاجتماع. فيما يؤكد بورديو على أن لرأس المال أشكالاً عدة، تكون في أغلب الأحيان غير مادية ومخفية؛ ويُعرف مفهوم رأس المال الرقمي على أنه تلك المساحة القادرة على تفسير الاختلافات وتوسيع استعمالاتها لتشمل المجالات الاجتماعية الأخرى، التي لا تستطيع النظرية الماركسية استيعابها، فهو مخزون من القدرة والكفاءة الداخلية والمصادر الخارجية ذات القيمة الاجتماعية النادرة، ويمتلك خاصية تجعله قادراً على تحويل نفسه إلى نمط آخر كما ونوعاً. بينما تقود المصلحة الذاتية للفردي في المجتمع -باعتبارها القوة الرئيسة للسلوك البشري- إلى جمع رأس المال وموارده وفقاً لرؤوس الأموال الأخرى الثلاثة: الاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ وذلك الذي يعزز التفاوتات الاجتماعية والتسلسل الهرمي بين شرائح المجتمع.

رغم أن كثيراً من العلماء لا يتفقون مع مبدأ تطوير رأس مال جديد؛ لكونه أتي نتيجة تفاعل ثلاثة رؤوس أموال: الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، إلا أن رأس المال الرقمي أنتج منافع اجتماعية أسست بنية رقمية للمجتمعات، فقد حسنت الظروف المعيشية للأسر، ولبّت احتياجات الأفراد وتطلعاتهم، ولعل الباحثين استطردوا لذكر عدد من المبررات لاعتماد رأس مال جديد؛ أهمها أن الجيل الحالي من الشباب يمتلكون قدراً كبيراً من المعرفة في استعمال تكنولوجيا المعلومات والأجهزة الرقمية، إذ إنهم باستثمار كفاءتهم الرقمية، قادرون على الوصول إلى مستوى عالٍ من الإجابة في استعمال أنشطتهم الحيوية اليومية، مثل: التطبيقات الصحية المرتبطة بالساعات الرياضية الذكية، والخدمات المصرفية الذكية المدرجة في تطبيقات الهاتف، والمكتبات الشرائية والمعرفية التكنولوجية؛ كونه يمثل جسراً مستقلاً ومميزاً مع رؤوس الأموال الأخرى في شتى الأصعدة. ومن المزايا التي يقدمها التفاعل المرتفع بين رأس المال الرقمي ورأس المال الاقتصادي، أنه أتاح للأفراد الحصول على وظيفة أفضل أو راتب أكبر أو دخل آخر ... وهذا مثال واضح على ارتفاع رأس المال الرقمي لدى شريحة معينة من المجتمعات، وقد يعبر

يرى المؤلفان: ماسيمو راجنيدا، أستاذ علم الاتصال الجماهيري في جامعة نورثمبريا بمدينة نيوكاسل الإنجليزية، وأستاذ زائر في جامعة لومونوسوف الروسية، وماريا لورا رويو الحاصلة على درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية، مناهج في الفنون والإعلام وتصميم الاتصالات، من جامعة نورثمبريا بمدينة نيوكاسل الإنجليزية عام 2019م، أن عدم المساواة الاجتماعية دفع صانعي السياسات إلى إيجاد حلول لتفاوتات رأس المال بين الأفراد، من هذه التفاوتات أوجه عدم المساواة الرقمية والاجتماعية على حدٍ سواء. وتأتي نظرية بورديو لتقدم إسهاماً نقدياً جاداً تجاه تلك الفجوة الرقمية بين المواطنين؛ إذ أوجد المؤلفان ثلاثة أهداف عبر هذه النظرية: بداية البحث المتعمق في مفهوم رأس المال الرقمي مع توضيح إطاره النظري وإسهاماته المباشرة، ثم اقتراح نموذج فاعل في كيفية قياس رأس المال الرقمي، وأخيراً مناقشة آثاره النظرية والتجريبية على السياسات القابلة للتنفيذ للحد من التفاوتات الرقمية.

هل نحن بحاجة إلى إدخال رأس مال جديد في أدواتنا النظرية؟ يبدو سؤالاً منطقياً دفع الباحثين لافتراض مبدأ التشكيك في ضرورة إدخال رأس مال جديد؛ إذ كثر استخدام رؤوس الأموال بين علماء الاجتماع وعلماء الاتصال في توصيف شتى الموارد المتاحة في المجتمع؛ تحقيقاً لأهداف معينة. يضم الكتاب ثلاثة فصول: يعرض الفصل الأول أهمية تقديم الدعم المنهجي العلمي لنظرية هذا المصطلح والمفاهيم المرتبطة به. بينما يناقش الفصل الثاني الحاجة إلى وضع نموذج معزز لتفعيل رأس المال الرقمي وتكراره في سياقات مختلفة. فيما يبين الفصل الثالث ضرورة دراسة آثار هذا المفهوم على صنع السياسات وأصحابها.

### رأس المال الرقمي

يستهل الفصل الأول من الكتاب بوضع تصوّر لرأس المال الرقمي وتعريفه عبر منظور بورديو، إذ يبين فائدة هذا المنظور في فهم التفاوتات الرقمية وتفسيرها؛ لذا يُعد قائماً بذاته مثل رؤوس الأموال الأخرى (الاقتصادي والثقافي والاجتماعي). ويهدف أولاً إلى ربط الخبرات والموارد غير المتصلة بالشبكة المعلوماتية في مجال الإنترنت؛ كي يُستفاد من هذه التجربة الرقمية فيما يتعلق بالخبرات المقدمة وجودتها. كما يقترح نموذجاً تجريبياً





للاحتياجات الفردية لمعالجة عدم المساواة الرقمية. في الواقع، تظهر العديد من المصادر التي استند عليها الكتاب أن الأشخاص ذوي الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الضعيفة الذين يتعاملون مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، يمتلكون خبرة رقمية أقل مقارنة بأولئك الذين يمتلكون ثراءً معلوماتياً في هذه المجالات ويستخدمون الجانب الرقمي. ويبين بورديو قوة رأس المال الرقمي في خلق فرص حياة جديدة ومختلفة تماماً، وزيادة رؤوس الأموال الاجتماعية والاقتصادية؛ عند سرده لقصة الشاب الإيطالي راغي الغنم جيان دانييل كالبيني، الذي يعيش في ظروف اجتماعية واقتصادية بسيطة جداً؛ إذ استغل شبكة الإنترنت في نشر مقطع فيديو مضحك لأغنامه عام 2016، وقد حققت هذه التجربة الرقمية الكفاءة والوصول الرقمي الكبير إلى ما يزيد على 27 مليون شخص حول العالم، بالإضافة إلى أن الشركات الصديقة للبيئة ومؤسسات حقوق الحيوان تعاونت معه في النشر والإعلان وشراء حقوق الصورة؛ محققاً مكاسب في شتى الأصعدة؛ رغم تواضع إمكاناته. نستطيع القول هنا: كيف سيكون تأثير موارد القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية على ذات التجربة لو كان ذلك الشخص ثرياً؟ وهذا مثال واضح وصريح في كيفية التقليل من التفاوتات الرقمية عندما تكون موارد الأفراد بسيطة أو توسيع فجوتها في حال كانت مواردهم كبيرة؛ لذا فإن إدراك مستوى رأس المال الرقمي للأفراد، والمجالات التي يحتاجون فيها للمساعدة أكثر قد يكون مفيداً لتكييف مبادرات الإدماج الرقمي وفقاً لاحتياجاتهم؛ عبر تحسين رأس المال الرقمي على المدى الطويل، وتعزيز الكفاءة التي تساعد الأفراد لاكتساب مزايا من استخدام شبكة المعلومات العالمية. إن أفكار هذا الكتاب تقدم نهجاً متكاملًا للتوفيق بين مجموعة متنوعة من الأساليب؛ من طريق تبني مفهوم جديد لرأس المال الرقمي أولاً، ثم اقتراح مؤشر قياس موحد يمكن استخدامه لمقارنة السياقات المختلفة لرؤوس الأموال في مختلف مجالات الحياة؛ لذلك كان تحديد رأس المال الرقمي وتقديره ضرورياً لعرض بعض الأفكار في آلية تطور الفجوة الرقمية، التي بدورها تلعب دوراً في إنتاج التفاوتات الاجتماعية وتعزيزها بين الأفراد، وقد جاءت نظرية بورديو وأفكارها لزيادة فرص حياة الأشخاص وتحسين وضعهم الاجتماعي شيئاً فشيئاً؛ لذا كانت هناك حاجة ماسة لتقديم دعم علمي محدد يشمل هذا المفهوم وفقاً لما سلكه هذا الكتاب.

**الكتاب: رأس المال الرقمي: منظور بورديو تجاه الفجوة الرقمية**

**المؤلف: ماسيمو راجنيدا وماريا لورا رويو**

**اللغة: اللغة الإنجليزية**

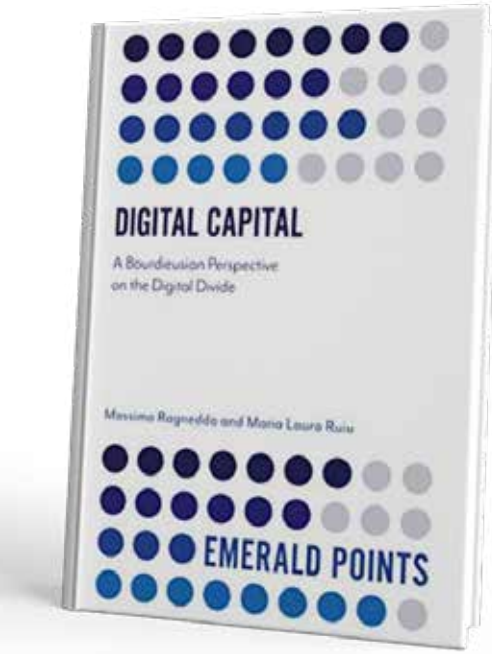
**عدد الصفحات: 122 صفحة**

**سنة النشر: 2020م**

**دار النشر: نشر إيميرالد للنشر المحدود في**

**بينجلي بالمملكة المتحدة**

**\* كاتب وباحث عُمانى**



للتحقيق في عدم المساواة الرقمية؟

تشير نظرية بورديو إلى أنها تعتمد في قياس رأس المال الرقمي على التاريخ الرقمي للأفراد؛ بمعنى قياس تجربتهم الرقمية من حيث الكفاءة والوصول في استعمالات التقنيات الرقمية. من ذلك تشير دراسته إلى ارتباط رأس المال الرقمي بالخلفية الشخصية للأفراد وما يلزمها من متغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية. ونظراً للمساحة التي ينمو فيها رأس المال الرقمي ويتطور بسبب البيئة الفردية لكل شخص، اتجه بورديو لقياس رأس المال الرقمي ومكوناته؛ للتخفيف من بعض أنواع عدم المساواة الاجتماعية رقمياً، التي تتفاقم بسبب اختلاف تملك رأس مال رقمي بين فرد وآخر. وقد انصبَّ مؤشر نظرية بورديو لقياس الخلفية الشخصية والاجتماعية للأفراد تجاه تجربتهم الرقمية وتفاعل رؤوس الأموال الأخرى معها؛ كونها تلعب دوراً حاسماً في ظهور التفاوتات الرقمية وعلاقتها برأس المال الرقمي والمتغيرات الاجتماعية.

## الدمج الرقمي

يناقش الفصل الثالث والأخير من هذا الكتاب الكيفية التي تمكن صانعي السياسات من استخدام مؤشر رأس المال الرقمي لمعالجة عدم المساواة الاجتماعية عبر استراتيجيات الإدماج الرقمي؛ لذا قاد صانعو السياسات حملات ومبادرات للإدماج الرقمي؛ من أجل رصد كيفية تداخل أوجه عدم المساواة الاجتماعية والرقمية؛ عبر مراقبة التوزيع غير المتكافئ لصفوات رأس المال الرقمي ومخرجاته الملموسة وأسطهته التعزيزية في شتى المجالات. وي طرح هذا الفصل نظرة عامة على الآثار المترتبة على مؤشر حرية حركة واضعي سياسات رأس المال الرقمي، بالإضافة إلى بعض الإرشادات التي يجب أن يأخذوها بعين الاعتبار لتقليل التفاوتات الرقمية ومعالجتها تكنولوجياً واجتماعياً عند قيامهم بمبادرات الإدماج الرقمي بين الأفراد.

لقد عزز العمق الرقمي في أساط مجتمعتنا وتغلغل بين الأفراد، مما أدى إلى تراكم الخبرات الرقمية لدى بعضهم دون الآخرين؛ إمكانية اقتراح مبادرات رقمية شاملة معدة خصيصاً

المعلومات والاتصالات؛ لاستعماله على صعيد تشغيل رأس المال الرقمي في مجتمع المعلومات، وليس للاكتفاء الذاتي. كما أن هناك مستويات متعددة للوصول والاستعمال الرقمي تتجاوز العوامل الرقمية الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية، إلى عوامل مادية ونفسية وثقافية وبيئية للمجتمعات والأفراد؛ إذ إن التفاوتات الرقمية في المجتمع مرتبطة بتطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات؛ لذلك دعت الحاجة إلى تطوير نموذج لتشغيل رأس المال الرقمي قادر على فهم الطرق المتعددة للوصول الرقمي وكفاءة مهارات أدائه.

ما تفسير وجود عوامل لها تأثير على العلاقة بين استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعدم المساواة الرقمية؟ يناقش بورديو عنصر جودة الوصول الرقمي كونه يلعب دوراً كبيراً في التأثير على الفجوة الرقمية؛ ويتيح إمكانية التحقيق في تلك الأبعاد المتعددة للوصول الرقمي: زمانياً ومكانياً - مادياً وغير مادي؛ بدافع تسهيل الوصول ورفع جودة التجربة الرقمية وقيمتها. وقد وجد أن الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية توفران محتوى محدوداً ودعماً أقل، ويؤثران سلباً على مستوى المشاركة الرقمية. فيما تم تقسيم تكوين الوصول الرقمي إلى أربعة متغيرات، هي: المعدات الرقمية المستخدمة للوصول إلى الشبكة المعلوماتية، مكان الاتصال المستخدم للوصول إلى العالم الرقمي، الوقت المقدر في استعمال شبكة المعلومات، الدعم المقدم للوصول إلى فضاء شبكة المعلومات العالمية.

وقد أظهرت مجموعة من الدراسات التي أجريت في هذا السياق أن نوع الأجهزة المستخدمة للوصول إلى الشبكة المعلوماتية وعددها يسهم في تقييم جودة الوصول، إذ إن استخدام الأجهزة المختلفة للوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد يزيد من جودة التجربة الرقمية. على سبيل المثال، الطبقة الدنيا في المجتمع الواحد الذين يستخدمون الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية فقط، لديها نطاق محدود من فرص الوصول مقارنة بتلك الطبقة التي تستعمل مجموعة أوسع من الأجهزة المختلفة للوصول إلى شبكة الإنترنت. وتعرض نظرية الإنترنت في كل مكان، إلى اعتبار أن موقع الاستخدام يعد متغيراً يسهم في تكوين الوصول لرأس المال الرقمي، كما أن الوقت الذي يقضيه المتصفح لشبكة المعلومات يرتبط بمستويات الكفاءة والفعالية التي تحدد جودة التجربة الرقمية. وبناءً على توجه بورديو تجاه رأس المال، نجد أن تشغيل رأس المال الرقمي يلتقط مجموع الوقت التاريخي الذي قضي في تصفح الشبكة المعلوماتية، بما يتوافق مع عدد سنوات استخدام الشبكة. ومن الواضح أن كفاءة تشغيل رأس المال الرقمي يجسد إبداع الأفراد في استخدام التقنيات الرقمية من جانب، وقدرتهم على تحديد الفجوات في الكفاءة والوصول من جانب آخر. وهذا المؤشر مرتبط بالأنماط الاجتماعية الديموغرافية والاجتماعية الاقتصادية ومستوى التكنولوجيا الرقمية؛ لذا يجب الحد منه قدر الإمكان من طريق محو أمية المحتوى الرقمي بين الأفراد والجماعات على حد سواء.

## مؤشر رأس المال الرقمي والمساواة الرقمية

يُعد رأس المال الرقمي عنصراً حيوياً في نقل الموارد الرقمية؛ أي ما يفعله الأفراد في المجتمع عبر شبكة المعلومات. من ذلك يطرح بورديو تساؤلاً في كفاءة استخدام مؤشر رأس المال الرقمي



## برهان المستقبل: تسع قواعد للبشر في عصر نظام التشغيل الآلي كيفن روز

زينب الكلبانية \*

إنها تشكل تجربتنا البشرية بالكامل، مع تأثير الذكاء الاصطناعي والخوارزميات على البرامج التلفزيونية التي نُشاهدها، والموسيقى التي نستمع إليها، والمعتقدات التي نتمسك بها، والعلاقات التي نشكلها. وبينما يحدث الجدال القديم حول ما إذا كانت الأتمتة ستدمر الوظائف، يتم تجاهل سؤال أكثر أهمية: كيف يمكننا أن نكون بشرا ناجحين وسعداء في عالم يتم بناؤه بشكل متزايد بواسطة الآلات؟ يضع كاتب العمود التكنولوجي في صحيفة نيويورك تايمز كيفن روز، رؤية مفاجئة وعملية، لكيفية بقاء البشر في عصر الآلة. يقدم أسرار الأشخاص والمنظمات التي نجت من التغيير التكنولوجي، ويشرح كيف يمكننا حماية مستقبلنا، مع دروس مثل «كن مفاجئا واجتماعيا ونادرا»، و«قاوم الانجراف الآلي»، و«اترك بصمات اليد»، و«خضض ترتيب أجهزتك»، و«عامل الذكاء الاصطناعي مثل جيش الشمبانزي».

الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، يتم تشغيلها آليا بمعدل شديد.

منذ الوفاء على وجه الخصوص، كثفت الشركات من استخداماتها لأتمتة العمليات الروبوتية، وهي تعمل على أتمتة الوظائف التي لم نعتقد أبدا أننا نستطيع القيام بها، ووظائف في الإدارة الوسطى، في المجالات ذات المهارات العالية، حيث يحصل الأشخاص الحاصلون على درجات جامعية على دخل مكون من ستة أرقام. يُظهر البحث الذي أجراه معهد بروكينغز أن العمال ذوي الياقات البيضاء معرضون أكثر لخطر الذكاء الاصطناعي، والأتمتة من العاملين في التصنيع، ومجالات أصحاب الياقات الزرقاء الأخرى.

الشيء المقلق بشأن هذه الموجة من أتمتة الشركات، هو أن الكثير منها ليس جيدا جدا. صاغ الاقتصاديان دارون أسيموغلو وياسكوال ريبستريو مصطلح الأتمتة، والذي يعني في الأساس أي أتمتة بالكاد تكون جيدة بما يكفي لتحل محل البشر في مكان العمل، ولكنها ليست جيدة بما يكفي لتوليد مكاسب إنتاجية كبيرة، أو جعل الاقتصاد أكثر ديناميكية. في الماضي عندما كانت لدينا تحولات تكنولوجية كبيرة، مثل الثورة الصناعية، فقد بعض الأشخاص وظائفهم بسبب التكنولوجيا الجديدة، لكن التكنولوجيا كانت أيضا جيدة حقًا، وأنشأت صناعات جديدة يمكنها بعد ذلك توظيف الأشخاص الذين نرحوا من الصناعات القديمة.

الآن، الكثير من الأتمتة التي نراها هي أتمتة لا تجعل الاقتصاد في الواقع أكثر إنتاجية، إنها فقط تخرج البشر من الوظائف. أحد الأمثلة على ذلك، هو خط خدمة العملاء الآلي. «لا أعرف شيئا عنك، لكن عندما أحصل على ريبوت على الطرف الآخر من مكالمة خدمة العملاء، أضغط على الصفر. أريد أن أتحدث إلى إنسان، لأن الاحتمال كبير أن البشر سيكونون أفضل في الإجابة على سؤال من الآلة.» هذه

الذكاء الاصطناعي موجودة في مجال العمل الاجتماعي، والذي يتضمن جعل الناس يشعرون بالأشياء بدلاً من صنع الأشياء. هذه وظائف مثل ممرض أو معالج أو رجل دين أو مدرس أو حتى نادل ومضيفة طيران. هؤلاء الناس يخلقون تجارب بدلاً من أشياء. في الوقت الحالي، الذكاء الاصطناعي ليس جيدا في الاستفادة من رغباتنا الاجتماعية. الفئة الثالثة من العمل الآمن من الذكاء الاصطناعي هي العمل النادر، والذي يتضمن مهارات أو سيناريوهات نادرة، أو مجموعات من المواهب، أو قدرة غير عادية. قد تكون هذه وظائف مثل مشغل 911 - عندما يكون لدينا حالة طوارئ - وتتصل برقم 911، فإننا نريد الاتصال بشخصية بشرية، وليس بشجرة هاتف آلي، وذلك لأن بعض الأشياء مهمة جدا بحيث لا يمكن تكليفها بالآلات. نحن نثق بالبشر لأن البشر بارعون في فهم حالات الطوارئ أو السيناريوهات عالية المخاطر. لهذا السبب، فإن الوظائف النادرة سوف يقوم بها البشر في المستقبل.

ثانيا: احذر من الروبوتات المملة. يقول روز: «عندما بدأت البحث في هذا الكتاب، افترضت أن الخطر الأكبر على البشر سيأتي من الروبوتات المتطورة للغاية، مثل الأشياء التي نراها في أفلام الخيال العلمي حيث تتفوق علينا الآلات في الذكاء، وتحولنا جميعاً إلى روبوتات. لكن الخطر الأكبر، على المدى القريب، يأتي من أشكال أبسط بكثير من الأتمتة. من أجل تحقيق النجاح في عالم مليء بالآلات الذكية، نحتاج إلى طرح أشياء لا تستطيع الآلات القيام بها. أسمى هذه الروبوتات مملة. هناك صناعة كاملة تسمى أتمتة العمليات الروبوتية. إنها صناعة تبلغ قيمتها 20 مليار دولار تقريبا لأتمتة مهام الأعمال المشتركة في المكاتب الخلفية، مثل المحاسبة والتدقيق الضريبي ومعالجة الفواتير وتوقعات المبيعات. تم تنفيذ هذه المهام من قبل البشر لسنوات عديدة، ولكن الآن، من خلال

يرفض روز الحكمة التقليدية القائلة بأنه لكي ننجح في عصر الآلات الذكية، علينا أن نصبح أشبه بأجهزة الحاسوب، كائنات عمل عالية الكفاءة تعتمد على البيانات. بدلاً من ذلك، كما يقول، يجب أن نركز على أن نكون أكثر إنسانية، وأن نقوم بأشياء إبداعية ومهمة وذات مغزى، حتى أن الذكاء الاصطناعي الأكثر تقدماً لا يمكنه القيام بها.

يقدم كيفن خمس رؤى رئيسية من كتابه الجديد: أولاً: تفعل أشياء لا تستطيع الآلات أن تفعلها. لسنوات عديدة، كنا نعد الناس للمستقبل بطريقة خاطئة تماماً. كان من الحكمة الشائعة أنه من أجل التنافس في عالم مليء بأجهزة الحاسوب والتكنولوجيا الجديدة، علينا أن نصبح أشبه بالآلات: دراسة الهندسة وعلوم الحاسوب، وتحسين وقتنا، ونصبح أكثر كفاءة وإنتاجية مثل المستطاع.

لكن ما سمعناه من الباحثين والخبراء في الذكاء الاصطناعي، هو أن العكس هو الصحيح في الأساس. من أجل تحقيق النجاح في عالم مليء بالآلات الذكية، نحتاج إلى طرح أشياء على الطاولة لا تستطيع الآلات القيام بها، لتمييز أنفسنا عن الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي. لقد عثر على ثلاث مجموعات من الأشياء التي يمكن أن يقوم بها البشر، ولكن لا يمكن للآلات القيام بها تقريبا، وهذه المجموعات وصفت بأنها مفاجئة واجتماعية ونادرة. تتضمن المهام المفاجئة الكثير من الفوضى والسيناريوهات المعقدة، مع الاكتفاء بعدم اليقين. على سبيل المثال، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يهزم إنسانا في الشطرنج، وهي لعبة منظمة للغاية بنفس القواعد في كل مرة. لكن إذا طلبت من الذكاء الاصطناعي أن يقوم بتدريس فصل في رياض الأطفال، فسوف يفشل فشلا ذريعا. نحن أفضل بكثير من الآلات فيما يسمى التعلم بدون طلاقة، وهو مصطلح من علوم الحاسوب، يعني في الأساس اتخاذ موقف جديد تماما وفهمه. الفئة الثانية من الوظائف المحمية من



حقا قبل أن نبدأ في تحويل المهام المهمة إلى آلات قد لا تكون جاهزة للتعامل معها.

خامسا: لا تكن نقطة نهاية. هناك نوعان أساسيان من الوظائف التي ظهرت في السنوات العشر أو الخمس عشرة الماضية. واحدة منها هي الوظائف التي يساعدها الذكاء الاصطناعي والأتمتة. ستكون هذه وظائف مثل أخصائي الأشعة، الذين يستخدمون الذكاء الاصطناعي لمساعدتهم في تشخيص الأورام لأن الخوارزميات في الواقع أكثر دقة من الحكم البشري. لا حرج في هذا النوع من العمل بمساعدة الذكاء الاصطناعي في الواقع، بل يمكن أن يكون شيئا جيدا حقا.

ولكن هناك فئة أخرى من الوظائف التي يشعر روز بالقلق بشأنها، وأطلق عليها عليها «وظائف نقطة النهاية». في تطوير البرمجيات، نقاط النهاية هي نقاط الاتصال بين برنامجين. اليوم، لدينا الكثير من العمال الذين يتلقون التعليمات من جهاز واحد ثم يفعلون شيئا باستخدام آلة مختلفة. هم نقاط نهاية الإنسان. أكثر الأمثلة وضوحا على ذلك، هي الوظائف في أماكن مثل مراكز التنفيذ أو المستودعات، حيث يتم إخبار العمال من خلال خوارزمية بما يجب وضعه في الصناديق، ويتم مراقبتها بواسطة الخوارزميات طوال العملية.

وظائف نقطة النهاية هذه ليست فقط في المستودعات؛ هناك أطباء ومحامون وحراس أمن وعمال تجزئة يعملون كنوع من نقطة النهاية البشرية. لا تستخدم وظائف الذكاء الاصطناعي والأتمتة، كطريقة للقيام بأعمال البشر القادرة، لتحرير الأشخاص للتركيز على مهام أكثر إبداعا وإنجازا. وبدلا من ذلك، فإنهم يجعلون هذه الوظائف أكثر تنظيما وروبوتية. إنهم يعاملون البشر على أنهم امتداد للآلة.

وهنا يمكن القول بأن هذه وظائف خطيرة، ليس فقط لأنه من المحتمل جدا أن يتم تشغيلها تلقائيا، ولكن لأنها تقلل من الإمكانيات البشرية. إنهم يحولوننا من أشخاص مبدعين ومولدين للأفكار إلى إنسان آلي. بينما نتطلع إلى المستقبل ونحاول أن نجعل أنفسنا أكثر إنسانية للنجاح في عالم مليء بالذكاء الاصطناعي والأتمتة، نحتاج إلى أن ندرك متى تجعلنا التكنولوجيا أقل بشرا، وعلينا مقاومة ذلك. في النهاية، إذا كان يتعدر تمييزنا عن الروبوتات، فلن يتبقى لنا شيء نقدمه.

**الكتاب: برهان المستقبل: تسع قواعد للبشر في**

**عصر نظام التشغيل الآلي**

**المؤلف: كيفن روز**

**اللغة: اللغة الإنجليزية**

**سنة النشر: 2021م**

**عدد الصفحات: 256 صفحة**

**دار النشر: راندوم هاوس للنشر**

\* كاتبة عُمانية



رابعا: عامل الذكاء الاصطناعي مثل جيش الشمبانزي. هذه استعارة استخدمها روز لوصف خطر الإفراط في الأتمتة، والإيمان الشديد بقدرات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، ثم الشعور بالندم لاحقا. مايك فاوولر، على سبيل المثال، رجل أعمال أسترالي ابتكر خوارزمية لإنشاء تصمييمات للقمصان. قد يتطلب الأمر عبارات شائعة، مثل، «حافظ على هدوئك واستمر في العمل»، ويمكن أن يدمج كلمات من ملفتات تعريف الأشخاص على وسائل التواصل الاجتماعي، في تلك النماذج لإنشاء ملايين القمصان التي من شأنها أن تدرج تلقائيا للبيع عبر الإنترنت.

لقد كانت فكرة رائعة وقد جنى الكثير من المال من خلال القيام بذلك، إلى أن أصبحت الخوارزمية ذات يوم خاطئة. اتضح أنه نسي أخذ بعض الكلمات من قاعدة البيانات التي استخدمتها الخوارزمية لملء هذه العبارات. كانت القمصان تظهر للبيع التي تقول أشياء مسيئة حقًا، مثل، «حافظ على هدوئك واضربها»، أو «حافظ على هدوئك واغتصبها كثيرا».

نحن بحاجة إلى أن ندرك متى تجعلنا التكنولوجيا أقل إنسانية، ونحن بحاجة إلى مقاومة ذلك. في النهاية، إذا كان لا يمكن تمييزنا عن الروبوتات، فلن يتبقى لنا شيء نقدمه. عندما أصبحت هذه التصاميم علنية، دمرت مسيرة مايك فاوولر المهنية. يحدث هذا النوع من الأشياء في جميع أنحاء الاقتصاد للشركات التي تمضي قدما في خطتها الخاصة بالذكاء الاصطناعي والأتمتة، بافتراض أن المخاطر منخفضة للغاية، واكتشاف أن ما فعلوه في الواقع يشبه السماح لجيش من الشمبانزي بالدخول في المكتب، ومنحه أجهزة حاسوب والقول له: «حسنًا، اذهب إلى العمل». يمكن للشمبانزي المجازي أن يفسد عمليات الشركة حقًا. نحن بحاجة إلى أن نكون واقعيين بشأن ما يمكن للذكاء الاصطناعي فعله، وما لا يمكن أن يفعله، وأن نكون حريصين

الأتمتة المملة للغاية، والتي بالكاد تصل إلى العتبة البشرية، هي من النوع الذي نشهده اليوم أكثر. يشعر خبراء الاقتصاد لدينا بالقلق لأنه حتى الآن، لم نشهد بطالة جماعية ناتجة عن التقدم في الأتمتة.

ثالثا: اترك بصمات اليد. بينما كنا نحاول اكتشاف أنواع العمل التي ستبقى بأمان في أيدي البشر في المستقبل المنظور، وصادفنا هذا المبدأ من علم النفس المعروف باسم الجهد الاسترشادي. تعني مجهودات الجهد في الأساس أننا نقدر الأشياء بدرجة أكبر عندما نعتقد أن الآخرين قد عملوا بجهد عليها. على سبيل المثال، كانت هناك دراسات حيث تم إعطاء مجموعتين من الأشخاص أكياس حلوى متطابقة، وأخبر أحدهم أنه تم اختيار الحلوى بشكل عشوائي لهم، وقيل للمجموعة الأخرى أن الشخص الذي فهم أنواع الحلوى التي يحبونها اختار الحلوى خصيصا لهم. على مستوى العالم تقريبا، وجد الأشخاص الذين اعتقدوا أن البشر الآخرين قد عملوا على اختيار حلوى معينة لهم أن مذاق تلك الحلوى أفضل.

عندما يمكن صنع معظم الأشياء المادية بواسطة الآلات، فإن الشيء الذي نقدره هو وقت الناس وخبراتهم وجهدهم. نحن نحب الأشياء التي تتطلب مجهودا من الآخرين. لهذا السبب، على سبيل المثال، يمكنك الحصول على تلفزيون بشاشة مسطحة رخيصة جدا من أمازون، لأن أجهزة التلفزيون ذات الشاشات المسطحة تصنعها الروبوتات. ولكن إذا كنت تريد قطعة فنية جميلة، فستكلفك أكثر من تلفزيون بشاشة مسطحة. مع صعود الذكاء الاصطناعي والأتمتة وكيف ندرك قيمة المنتجات، سنشهد ظهور اقتصاد منقسم.

يتكون اقتصاد واحد من أشياء تقوم بها آلة بشكل أساسي، ومن ثم هناك اقتصاد بشري آخر، وهو أكثر حرفية. يؤكد البحث أن هذه الأشياء المصنوعة يدويا ستصبح أكثر قيمة في السنوات القادمة. عندما يمكن صنع معظم الأشياء المادية بواسطة الآلات، فإن الشيء الذي نقدره هو وقت الناس وخبراتهم وجهدهم. يجب أن نعمل على جعل مخرجاتنا بشرية أكثر وضوحا.

هناك الكثير من الأمثلة الأخرى لأشخاص نجحوا لأنهم تركوا بصمات أيديهم. يقول روز: «يعمل المحاسب الخاص بي، روس جاروفالو، في صناعة دمرها الذكاء الاصطناعي والأتمتة. بدأ الملايين من الأشخاص في استخدام برامج مثل TurboTax، لذا فإن المحاسبين المتبقين هم من يجلبون شيئا أكثر إلى الطاولة. روس هو ممثل كوميدي سابق، ونتيجة لذلك، من الممتع التحدث إليه. أنا أستمتع حقًا بدفع ضرائبي معه، وقد تمكن من تحويل ما يمكن أن يكون عملا روتينيا مملا إلى تجربة إنسانية مسلية. لقد كان قادرا على البقاء حتى في الوقت الذي أصبحت فيه صناعته مؤتمتة للغاية. يحدث هذا النوع من الأتمتة للعاملين في كل صناعة، لذا من أجل البقاء، نحتاج إلى معرفة كيفية التعبير عن إنسانيتنا في عملنا، بدلا من محاولة إخفائها أو الاعتذار عنها. الإنسانية هي ما سوف يعطينا قيمتنا».



## الدين والمجتمع المدني عند مفترق طرق ما بعد الحداثة ياسين أقطاي

صلاح خيراني \*

تقدم الدراسة التي قام بها المفكر التركي ياسين أقطاي للقارئ منظوراً واسعاً في ضوء الخلفية التاريخية لظاهرة الدين ومفهوم المجتمع المدني. كما تركز على وجه الخصوص على المقاربات التي قدمها علماء الاجتماع المؤسسون لظاهرة الدين من خلال ثنائية الحداثة وما بعد الحداثة والانفتاح الذي طرح في الفترة المعاصرة بُعداً لفهمنا للدين، وما نتج عنه من فتح الباب على مصراعيه أمام مجالات جديدة للنقاش. كما أن الموضوعات الرئيسية لهذا الكتاب تتمحور حول مكانة الدين في عالم متمدن ومتعدد ومتعولم يقوم على مابعد الحداثة، والثنائيات مثل تغيير العادات والتقاليد، وعلم الاجتماع الديني-والدين، وعلم اللاهوت والأنثروبولوجيا والعلاقة بين المجتمع المدني والدولة.

### المعرفة والخبرة

يمهد المؤلف لكتابه بالآية ٤٨ من سورة المائدة التي تسلط الضوء على القوانين الأساسية للعملية التاريخية والاجتماعية قال الله تعالى:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

كما يشير في معرض حديثه للآيات ١٠٤-١١٠ من سورة آل عمران التي تذكر كل مجتمع بمسؤوليتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى:

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْطِضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ بِرِيدٍ ظَلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

وفي قسم خاص بعنوان «قلب عالم بلا قلب»، يتعامل المؤلف مع شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بلغة وأسلوب ديني بحت، مقدماً النبي محمد كنموذج يحتذى به للعالم المحتمل ضمن حدود الإنسان. وفي بعض المواضع يؤكد المؤلف على ماهية الرسالة الأساسية للإسلام وما هو مخالف للإسلام، وباختصار يعكس المؤلف بوضوح عالم الإيمان في متون كتابه. ويقتبس المؤلف من الفيلسوف مارتن هايدجر قوله إن ادعاء معرفة الله سيؤدي حتماً إلى الانفصال عن الوجود، لأن فعل المعرفة الديكارتي يتطلب مسافة. يجادل هايدجر بأن معرفة اللاهوت تزيل أساس التأثير المباشر

يمكن القول أن منطقة مناورة أقطاي الواسعة والحررة هي أيضاً ثمرة لمنهج البراغماتي تجاه المفاهيم بطريقة ما. على الرغم من أن ما بعد الحداثة تحتوي على فهم تقدمي للتاريخ في أماكن قليلة مثلها مثل الحداثة، إلا أن أقطاي يركز بشكل أساسي على أن المفهوم - خاصة مع العولمة - يشير إلى المكان والجغرافيا بدلاً من الوقت «حقيقة أن العالم أصبح مجالاً واحداً له تأثير واضح على الوعي...» (ص ٤٢). ومع ذلك ينبغي القول بأن طبيعة وأبعاد هذا التأثير لم يتم تناولها بشكل كافٍ من قبل المؤلف مما ترك الجدل معلقاً جزئياً.

### الأصالة في العالم الحديث

واحدة من أكثر النقاشات لفتاً للنظر مع مفهوم التحديث هي قضية الأصالة - وكما ناقش المؤلف ذلك في كتابه «العولمة والتعددية الثقافية والأصالة»- يصر أقطاي على أن كل سياق اجتماعي تاريخي هو أصيل في حد ذاته. ويوفر هذا النهج في الواقع فرصة لممارسة اجتماعية وسياسية محددة ومبتكرة في كل فترة من فترات التاريخ. كما يلخص الاقتباس المأخوذ من هايدجر الذي تأمل في الوجود وظواهر الوجود، المعنى الديناميكي الذي يضيفه أقطاي إلى مفهوم الأصالة: «لا توجد كلمة جديدة غير منطوقة تحت السماء. لكن أليس جديداً أن أقول هذا هنا والآن؟» (ص ٢). نعم إن كل فترة وكل سياق هو أصيل بالضرورة، لكن المؤلف لا يزال يحذر من التصور القائل بأن الوقت الذي نعيشه - سواء كان ذلك بمشاعر الغربة والشوق أو الشعور بالتفوق - يختلف تماماً عن الأوقات السابقة مذكراً أن هذا التصور عقبة في طريق فهم سنة الله في الكون، وباختصار يوازن المؤلف بين الأصالة والتكرار.

### علم اجتماع الدين: مقاربات كلاسيكية

بينما يتعامل أقطاي مع النقاشات الرئيسية في علم اجتماع الدين، فإنه يتعامل مع مناهج أصل الدين وتعريفه باستجابات معاصرة ملموسة في عالم الإدراك اليوم. وتأكيداً على ازدواجية المقدس والمدنس كأكثر معادلات التعريف

الذي يؤسسه الوجود. بل إنه يقول إن عدم دينه أقرب إلى الله من اللاهوتيين (ص ١٥٥). كما يؤكد أقطاي على العلاقة التي لا تنفصم بين الخبرة الدينية والمعرفة الدينية. هذا النقاش الذي أجراه أقطاي في الواقع يلقي الضوء على النقاشات المعرفية حول المدى الذي يحدد فيه الإيمان والخبرة وعالم العاطفة النهج العلمي. وينتقد أقطاي المعارضة القاطعة في مناهج علماء الاجتماع المؤسسين مثل كونت وماركس وفيربر ودوركايم لظاهرة الدين، ويكشف أن جميع الأديان في نهاية المطاف ترى في فئة واحدة وبأن هذه المعارضة تجعل من المستحيل فهم الدين. ولكن من ناحية أخرى، كما ذكرنا أعلاه نرى أن مؤلفنا يسلط الضوء بوعي على دوافعه الدينية ومنظوره الاجتماعي لعالم القيم في عدة نقاط. تماماً كما عكس علماء الاجتماع المؤسسون عوالم القيم إلى حد معين في تحليلهم العلمي، ويكرر أقطاي نفس الموقف هذه المرة لكن في الاتجاه المعاكس. كما أكد ماركس فيبر في مقالته الشهيرة «العلم كمهنة» فإن فكرة وجود علم خالص مستقل عن المعتقد وأحكام القيم والافتراضات الذاتية هي بالطبع فكرة ساذجة إلى حد ما. لذلك فإن النقطة التي نريد التأكيد عليها هنا هي حقيقة أننا بحاجة إلى انفتاح معرفي يسمح بمناقشة التجربة في نطاق المعرفة.

### الحداثة وما بعد الحداثة والدين

في الفصول الأولى من الكتاب، يناقش أقطاي مفاهيم الحداثة والدين والتغيير الاجتماعي في محور ما بعد الحداثة والتعددية الدينية والسلطة الدينية والشذوذ العالمي. ويلفت الانتباه إلى الفرص التي يمكن أن توفرها على عكس النهج النقدي الواسع النطاق لحالة ما بعد الحداثة. ووفقاً للمؤلف فإن وضع ما بعد الحداثة هو أولاً وقبل كل شيء حالة التواجد على مفترق طرق ويوفر الحرية لاتخاذ خيارات مختلفة تماماً عند هذا التقاطع. وهذا التفسير هو مظهر من مظاهر الدافع المتفائل والفعال للموضوع والذي يحاول المؤلف بإصرار الحفاظ عليه في جميع الظروف. وبالطبع



رغبة أقطاي تحمل في طياتها الأمل في أن تتمكن بعض الجماعات الإسلامية في هذا الجو المتولد عن عصر الحداثة المتأخر أو ما بعد الحداثة بأن يقوموا بحركة نقدية تساؤلية تمكنهم من التمييز بين ما إذا كانت الحقيقة تنتمي إلى هذه الجماعات أم أن هذه الجماعات هي من تنتمي إلى الحقيقة.

#### التقاليد والتغيير

في مناقشته للعادات والتقاليد يدعو أقطاي إلى التفكير في مدى صحة مجموعة الحقائق التي تؤمن بها في السياق الاجتماعي الذي نعيش فيه. وسواء كان التقليد يعبر عن النظام المحلي أو عن توجه أتباع هوبسباون Hobsbawn، فهو في الأساس استمرارية في السلوك الاجتماعي. وفي رأينا تركيز أقطاي ينصب على التساؤل دائماً عن مدى توافق هذه الاستمرارية مع الواقع والحفاظ عليه بحساسية ذاتية الانعكاس.

#### مناظرات ونقاشات المجتمع المدني

في هذا القسم يلخص أقطاي الأدبيات حول مفهوم المجتمع المدني ويناقش العلاقة بين المجتمع المدني والدولة من حيث أبعاد التبعية والمعارضة. أما فيما يتعلق بمحور الدين والمجتمع المدني يواصل المؤلف النقاش وتسلطه الضوء على المسلمين بشكل خاص. ويبدو أن أقطاي قد تطرق إلى مفهوم المجتمع المدني من زوايا مختلفة في أجزاء مختلفة من الكتاب. ومن بين إحدى النقاط التي أكد عليها مراراً وتكراراً في عدة مواضع هي أن المجتمع المدني لا يعني بالضرورة معاداة الدولة أو مناهضة الدولة. ولكن من ناحية أخرى يذكر أن «جزءاً مهماً من مفكري التنوير على طول الخط الذي يعود إلى هيجل تصوروا المجتمع المدني كمجال اجتماعي لا يرتبط مباشرة بالدولة» (ص 298) كما يربط أقطاي مفهوم المجتمع المدني مباشرة بالمشاركة السياسية ويؤكد أن ظهور ثقافة المجتمع المدني سيثير «السياسة والثقافة السياسية والوعي السياسي ومنه ثقافة المجتمع المدني هي سلوك مواطنة نموذجي يهدف إلى بناء دولة جامعة للجميع» (ص 382).

لا شك أن المجتمع المدني والسياسة هما مفهومان يجب على الجماعات المتطرفة التي تدعي أنها تتبع الدين الإسلامي والتي تحاول تعميق دوامة العنف التركيز عليهما بشكل حساس وجدي في نفس الآن. بهذا المعنى يقدم كتاب ياسين أقطاي «الدين والمجتمع المدني عند مفترق طرق ما بعد الحداثة، منظوراً جديداً للأثار الاجتماعية والسياسية للاعتقاد الذي ننتمي إليه فضلاً عن عرضه لإمكانيات وأفاق سياسة بنظرة تجديدية استشرافية.

#### الكتاب: الدين والمجتمع المدني عند مفترق

#### طرق ما بعد الحداثة

#### المؤلف: ياسين أقطاي

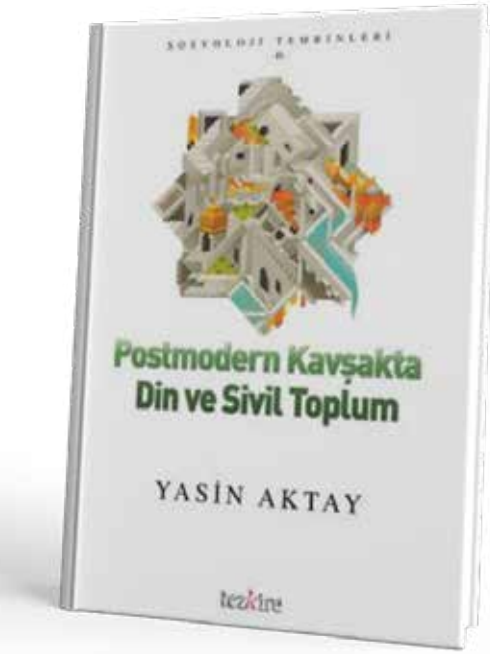
#### مكان النشر: إسطنبول

#### دار النشر: دار التذكرة للنشر Tezkire Yayınevi

#### تاريخ النشر: 2020

#### عدد الصفحات: 422

\* باحث جزائري في تاريخ الشرق الأوسط السياسي والعلاقات الدولية



بأنها «الحالة الإنسانية الناشئة عن ضرورة بناء مساحة مشتركة مع الأشخاص الذين يشبهوننا في هذا العالم إذا لم تكن وحدنا في هذا العالم» هي بلا شك تصور للواقع المشترك. كما يتطرق المؤلف على وجه التحديد إلى علم الظواهر والمنهجية العرقية كمقاربات أساسية تلقي الضوء على كيفية تشكيل عوالم الفاعلين الاجتماعيين على مستوى العلاقات الاجتماعية الجزئية، وكيف يتم بناء الأنماط العقلية والذي يكون أحياناً بوعي وأحياناً بشكل تلقائي. ويضيف المؤلف أنه لسوء الحظ أن هاتين المقاربتين تم إهمالهما من قبل علماء الاجتماع ما حرمننا من الأفكار التي كان بإمكانهم أن يقدموها.

#### التحضر والدين والتعددية

وفقاً لأقطاي فإن أهم تغير حدث في سياق علاقة التمدن والدين هو أنه تم حصر كل دين في إطار نسبي. ويقول إن هذا السياق المستجد جعل من الصعب وجود مقام علوي يقرر صحة أي اعتقاد داخل هذه الثقافة التعددية» (ص 119). يقرأ أقطاي هذه الحالة والمتمثلة في معادلة الأديان في وعاء التعددية، واختفاء مزاعم الحقيقة، الشذوذ العالمي، الضغط النفسي الذي أوجده المجتمع التمدن الصناعي ضد البقاء مرتبباً بشكل صارم بفكرة الحقيقة، باختصار على أنها تمهين للمعتقدات» (ص 128).

كما يلفت المؤلف الانتباه إلى الإمكانيات التي يتيحها المشهد التعددي الناشئ، ولا سيما فيما يتعلق ببعد تآكل احتكار الحقيقة خصوصاً عند بعض الجماعات الإسلامية، وتزايد ثقافة المجتمع المدني بشكل عام، ووفقاً له فإن «كل الطوائف والجماعات التي اعتادت أن تعتبر نفسها بأنها مركز العالم والممثل الوحيد للحقيقة، عليها أن ترى أن الآخرين لديهم نفس الفرصة للمطالبة بالحقيقة. وبأن يحاولوا اكتساب حس التسامح والتفاهم مع الآخرين» (ص 180) «يبدو أن

شيوماً للدين، فإنه يدعو القارئ أيضاً إلى رؤية مقدساتنا في العصر الحديث. إنه يشير إلى المدى الذي تؤدي فيه الفروق الدينية (المقدسة) - الدنيوية التي نبينها إلى تشتت انتباه الدين الذي يؤمن به عن الواقع الاجتماعي والسياسي. بالإضافة إلى ذلك يلفت الانتباه إلى أدوات رأس المال الرمزية في العصر الحديث، خاصة من خلال الفكر الطوطمي الذي ناقشه دوركايم في تحليله لأساس الدين.

#### علم اجتماع الدين - علم الاجتماع الديني

من خلال التمييز بين علم اجتماع الدين وعلم الاجتماع الديني، يبدو أن أقطاي يحاول توضيح الخط الدقيق بين المعتقدات والنشاط العلمي، والذي ركزنا عليه في البداية. ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أن هذا التمييز في رأينا إشكالي من وجهة نظر معرفية. وبحسب أقطاي فإن «علم اجتماع الدين لا يصدر حكماً بشأن صواب أو خطأ السلوك الديني الذي يفحصه، والغرض منه هو النظر في العلاقات بين التفاهم الديني وديناميكيات التغيير الاجتماعي» (ص 73). ومن ناحية أخرى فإن علم الاجتماع الديني هو «النظر إلى علم الاجتماع من منظور دين معين» (ص 73). برأينا يؤدي هذا التمييز أساساً إلى وجهة نظر تتجاهل الأسس الأنطولوجية والمعرفية للعلوم الحديثة وهو الافتراض الذي ينتقده أقطاي أساساً. وقد نوقش هذا الجدل من قبل حول ثنائيات علم الاجتماع الإسلام / الأنثروبولوجيا الإسلام - علم الاجتماع الإسلامي / الأنثروبولوجيا الإسلامية، وقد شكل إحدى الإشكاليات الرئيسية في أسلمة دراسات المعرفة. ففي الواقع لقد تناول أقطاي وهو على دراية كبيرة بهذه النقاشات، هذه المسألة المهمة بإيجاز شديد في كتابه.

#### هل العلاقة مع الله عمل اجتماعي؟

يجادل عالم الاجتماع ماكس فيبر بأن الاعتراف بظاهرة اجتماعية يجب أن يعتمد على المعاني الذاتية التي ينسبها الفاعلون الاجتماعيون إلى الظواهر المعنية، وليس على الأنماط النظرية والمنهجية الجاهزة للباحث. لقد أضاف منظور فيبر الذي يقدم اختراقاً نظرياً جاداً في علم الاجتماع، بعداً جديداً لمفهوم الفعل الاجتماعي. بهذا المعنى فإن سؤال أقطاي المستوحى من عالم الاجتماع بريان تورنر Bryan Turner هو ما إذا كانت العلاقة مع الله يمكن اعتبارها فعلاً اجتماعياً. فإن المجتمع الذي يُنظر فيه إلى الله كعنصر فاعل اجتماعي لا يوسع نطاق العلاقة بين المعتقد الديني وممارسة الحياة اليومية فحسب بل يُظهر أيضاً مدى الغموض والاختراق في التمييز الديني وغير الديني. يتحدث أقطاي كثيراً عن بحثه الميداني حول طائفة المورمون في أمريكا كتطبيق نموذجي لهذا الترابط، ويقدم للقارئ بالتفصيل تنظيم هذا الطائفة التي تضم حوالي عشرة ملايين عضو، على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

عندما يتم ذكر حالة ما بعد الحداثة والعولمة، يتبادر إلى الذهن بالطبع الاختلافات والتعددية في المقام الأول. فالديناميكية الأساسية لـ «السياسة» التي يعرفها أقطاي

## الضحك

المؤلف: لور فلاندران  
الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا.  
تاريخ النشر: 2021  
عدد الصفحات: 400 صفحة



لا ريب أن الضحك علامة أنثروبولوجية كونية واضحة. لكن لماذا نضحك؟ كيف يمكن لآليات الضحك أن تشكل مجال الدراسة من قبل العلوم الاجتماعية؟ إن الضحك، الذي تناولته بعض التخصصات (اللاهوت، والفلسفة، والأدب، والتحليل النفسي)، قد فتح أبوابه الآن على علم الاجتماع، وهو هنا موضوع بحث حول تلقي الفنون الهزلية التي تعد من بلوغ ذروة السخرية والضحك. لماذا نعبر عن أنفسنا، وتجاربنا الاجتماعية، وعلاقاتنا مع الآخرين وآرائنا الثقافية بواسطة الضحك؟ يقترح هذا الكتاب استكشاف التجارب الأساسية للعالم الاجتماعي التي تشكلنا كضاحكين، ويهدف الكتاب إلى وضع إطار عام لفهم الضحك ومن ثم، فإن هذا الأخير يبدو كطريقة للاعتراف بتجارب الماضي على نمط محاكاة ساخرة وتلقائية، وكفعل محدد للهوية قائم على أصعب انكسارات النمط الاجتماعي، واستراتيجية للتمييز الثقافي داخل المجال الهزلي حيث لا يكون كل شيء متساوياً، وهنا تبرز خاصية الدفاع عن القيم الاجتماعية، بقيم متناقضة ومتضاربة تنحو إلى خلط الأوراق بالمفارقات تصل أحياناً إلى تفكيك ونقد الأنماط الاجتماعية السائدة.

## مجتمعات في خطر: التهديدات والمخاوف والتصورات وردود الفعل

المؤلف: كلوديا سينييك  
الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا.  
تاريخ النشر: 2021



إن المخاطر البيئية والاقتصادية والسياسية والجيوسياسية لم تكن قط بهذا القدر من الإقناع بتحريك العالم نحو سلسلة من الكوارث التي تكاد تكون حتمية. ولمواجهة هذه الأخطار، تكون ردود الفعل عديدة؛ إذ يحاول البعض، من خلال خطاب توقعي يشير إلى مخاطر معينة، أن يحفزوا المجتمع على التعبئة. ويقترح آخرون رؤية أكثر شمولية لطريقة اشتغال العالم تتضمن إمكانية وقوع كوارث، بل ودنو نهاية العالم. كما تحاول جماعات تريد النجاة أن تعد نفسها الآن لعالم ما بعد الكارثة. ويقترح الخبراء القانونيون، لحمايتها، منح الحقوق للحيوانات، أو حتى للطبيعة. ولكن في أغلب الأحيان، يبدو أن «صانعي القرار» يعانون من أجل التعبئة وكذا المجتمعات المعاصرة تحاول عموماً أن تتقبل التهديدات و«السموم المفروضة» على الطبيعة والكائنات التي تؤذي الجميع. يقدم هذا الكتاب دراسات للحالات التي جمعت في هذا العمل الجماعي رؤى ثاقبة جديدة عن أسئلة عالم يشعر بأنه على حافة خطر وشيك.

ما زال جاك دريدا حاضراً وبقوة في المشهد الفكري العالمي رغم رحيله، فقد ترك أرشيفا هائلاً من الدراسات والمحاضرات لم ينشر أغلبها، وفي هذا السياق تأتي هذه السلسلة من الحلقات الدراسية التي تنشرها دار سوي. تتحدث الحلقة الأولى عن الضيافة والاستضافة، ماذا نسعى الأجنبي الغريب؟ كيف نرحب به؟ كيف تقوم بطرده؟ ما الفرق بين غريب وآخر؟ ما معنى الضيافة، والزيارة؟ كيف تتناسب فكرة الغريب مع اللغة؟ ما هو تاريخها الأوروبي، قبل كل شيء في اليونانية أو اللاتينية؟ كيف يتم توزيعها في أماكن القرابة، العرق، المدينة، الدولة، الأمة؟ كيف نحلل اليوم، وخاصة في فرنسا وأوروبا، أهمية ومخاطر معارضة الصديق/العدو؟ في ضوء التغيرات التكنولوجية (على سبيل المثال داخل بنية التواصل وسرعته)، وماذا عن الحدود، والمواطنة، وما يسمى بحقوق الأرض أو الدم، وماذا عن السكان المشردين أو المبعدين، والهجرة، والنفي أو اللجوء، والاندماج أو الاستيعاب (الجمهوري أو الديمقراطي)، وماذا عن كراهية الأجانب أو العنصرية؟

يثير هذه الأسئلة جاك دريدا من خلال قراءات متداخلة للنصوص الكلاسيكية العظيمة (من الكتاب المقدس وسوفوكليس وأفلاطون - وخاصة من مقال كانط الشهير عن الحق الكوني السياسي في الضيافة العالمية من أجل سلام متبادل) ومن النصوص الحديثة أيضاً (مع هايدغر، ومن بينفينيست، ومع أرندت حول تدهور الدولة القومية، ومع روبرت) ولكن أيضاً من المناقشات الجارية بشأن الهجرة أو الحق في اللجوء في فرنسا وأوروبا. إن التفكير الأولي لدريدا في السنة الأولى من حلقاته الدراسية كانت تحت عنوان «الضيافة» التي انتظمت من خلال التمييز الصارم، وإن كان من دون معارضة، بين منطقتين غير متجانسين يخاطران دائماً بتحريف بعضهما البعض: وهما الضيافة المتشددة والملزمة (التي تكون دائماً محدودة ومشروطة وتخضع للسيطرة) وفكرة الضيافة المفتوحة أمام الزائر ودون شروط مسبقة.

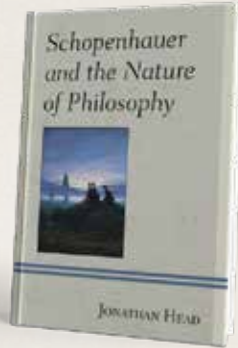


## الضيافة

المؤلف: جاك دريدا  
الناشر: دار سوي، فرنسا.  
تاريخ النشر: 2021  
عدد الصفحات: 400 صفحة

## شوبنهاور وطبيعة الفلسفة

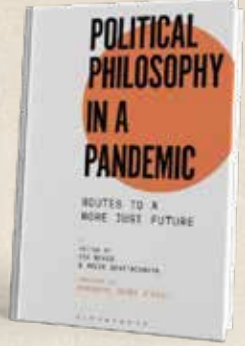
المؤلف: جوناثان هيد  
دار النشر: ليكسينجتون بوكس  
تاريخ النشر: 2021



في زمن عصيب كهذا الذي نحياه، ليس ثمة من علاج فلسفي - من حيث إن الفلسفة في جانب من جوانبها «صناعة أدوية (من الدواء وليس من الداء)» كما قال أبو حيان التوحيدي - أفضل من الإنصات إلى حكمة الفيلسوف الألماني شوبنهاور (1788-1860) - هذا الذي تستمر فلسفته في استنهاض السؤال وفي إثارة فتنة التحدي - في التشاؤم والفناء. وهذا ما يحققه هذا الكتاب بالذات. فهو يسعى إلى تقديم إجابة عن التساؤلات التالية التي توحى بها فلسفة هذا الفيلسوف شبه المنسي: ما الفلسفة إذن؟ وما الذي يمكنها أن تقدمه لنا؟ وما الذي يحملنا على التفكير تفكيراً فلسفياً؟ من طبيعة هذه الأسئلة أن تؤسس مبحث ما بات يعرف باسم «فلسفة الفلسفة» - وهو المبحث الذي ينشأ حين تكف الفلسفة عن طرح أسئلة عن الأشياء لكي تطرح أسئلة عن نفسها. وهذا جانب نهضت به فلسفة شوبنهاور من حيث هي فلسفة وفلسفة فلسفة. هذا مع تقدم العلم أن الذي عند هذا الرجل أن من شأن الفلسفة - بما هي خبرة إنسانية - أن تتجذر في عمق التساؤل حول الحياة والعالم، وأن تسعى إلى الفهم والسلوان. ومن ثمة أن تتعالق مع الدين والتصوف والمجتمع.

الفلسفة السياسية  
في زمن الجائحة

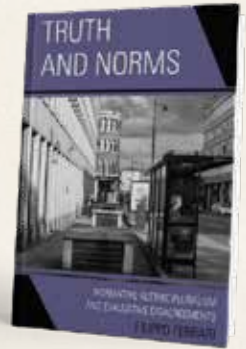
المؤلف: تأليف جماعي  
دار النشر: بلومبسيوري أكاديميك  
تاريخ النشر: 2021



واهم هو من يعتقد أن شأن الفلسفة - في الأزمنة العصيبة - أن تلجأ إلى الاحتماء ببرج عاجي. وقد ولى الزمن الذي أمكن لبرتراند راسل أن يقول فيه بأنه لم يجد في زمن الحرب ما يفعله سوى اللواذ بتأليف كتاب في تاريخ الفلسفة لا صلة له بما كان يحدث في زمنه. وها هم الفلاسفة اليوم ينظرون في زمن الجائحة - زمن قبور مفتوحة وشوارع مهجورة ومدارس متروكة - بخمسة أنظار: 1 - الرعاية الاجتماعية والهشاشة: أزمة كوفيد 19 ومخاطره، توزيع الموارد الطبية النادرة في زمن الجائحة، تلامذتنا في زمن إغلاق المدارس، السكن والتساكن في عصر الجائحة. 2 - العدالة الاقتصادية: هل يلزم للجيل الأكبر سناً أن يؤدي فاتورة الجائحة، إعادة بناء الضمان الاجتماعي للقضاء على الهشاشة الاقتصادية، التضامن في الجائحة والدخل الكوني. 3 - العلاقات الديمقراطية في زمن الجائحة: أي الأصوات تعد، العزلة والوحدة، الانتخابات. 4 - الخطاب والتضليل الإعلامي: التضليل الإعلامي ووسائل التواصل الاجتماعي وحرية الخطاب، واجب الشفافية المفروض في الأنظمة الديمقراطية، مسألة الخبرة العلمية في مجال الصحة العمومية، الحملة على من لا يحترم التباعد الاجتماعي. 5 - الجائحة ومسألة العدالة.

## الحقيقة والمعايير

المؤلف: فليبو فيراري  
دار النشر: ليكسينجتون بوكس  
تاريخ النشر: 2021



منذ أن سأل الحاكم الروماني بيلاطس السيد المسيح السؤال الإنكاري: «لكن، ما الحقيقة إذن؟» بعد أن قال هذا الأخير قوله: «أدعو إلى الحقيقة»، وسؤال الحقيقة ما يفتأ يؤوب أوبته المتوالية إلى حقل اهتمام الفلاسفة. وهذا كتاب آخر، وليس أخير، في مسألة الحقيقة. وهو يتناول مسألة الحقيقة وعلاقتها لا بالوقائع وإنما بالمعايير أو بالتقويمات والأحكام والتفضيلات: تقويماتنا الذوقية حيث يسود الاعتقاد بأن الأذواق لا تناقش، وتقويماتنا الجمالية حيث يُحسب أن كل واحد منا يرى ما يراه جميلاً حسب ذوقه، وتقويماتنا الخلقية حيث يُظن أن ما أجدده حسناً قد تجده أنت قبيحاً. والحال أن المؤلف، في الباب الأول من كتابه، يناقش كل هذه الأحكام، ويناقش الاعتقاد بأنها أحكام لا تناقش. أما في الباب الثاني، فيناقش مسألة الأحكام أو التقويمات من وجهة النظر المعرفية. وفي الباب الثالث، يطرح مسألة الحقيقة بعامتها وصلتها بالأحكام. وهو في كل هذا يدافع عن نظرية تعددية ترى أن أحكامنا من شأنها أن تتعدد بتعدد المجالات التي نبدي فيها هذه الأحكام، وأن الخلاف لا شك حاصل في أمر هذه الأحكام. لكن هذا لا يمنع من الدعوة إلى الاتفاق حول الحد الأدنى من هذه الأحكام. التعددية - من التعدد - والأدوية - من الحد الأدنى - هما شعارا مؤلف هذا الكتاب.

سنة 2021 هي ذكرى مؤوية تمرد مسلمي المليبار في كيرالا ضد الاستعمار البريطاني الذي حدث في عام 1921. وكان هذا التمرد نتيجة لحركة الخلافة التي تشكلت في شمال الهند تعاطفا مع الخلافة العثمانية التي وقفت ضد بريطانيا إبان الحرب العالمية الأولى، وكان حزب المؤتمر بقيادة غاندهي قد تعاون مع حركة الخلافة التي نشأت بقيادة مولانا أبو الكلام آزاد وشوكت علي ومحمد علي الجواهر وغيرهم. كان التمرد في كيرالا يعرف أيضا باسم تمرد المليبار. لأنه كان متركزا في منطقة المليبار. استطاع المسلمون خلال هذا التمرد تحت قيادة علي مصليار وكونجي أحمد تأسيس الخلافة في بعض مناطق المليبار إلا أن القوات المسلحة البريطانية قمعته قمعا شديدا بطريقة وحشية . وكان حدثا هاما قد حسم مسار تاريخ كيرالا. وكان له دور رئيسي في تشكيل هوية المسلمين الاجتماعية في كيرالا. كان نقطة بداية نهضتهم في جميع مناحي حياتهم الاجتماعية من الإصلاح الديني والتقدم في التربية والتعليم والأنشطة السياسية. وهذه المجموعة من الدراسات العميقة تبرز روائع إنجازاتهم العظيمة التي حققوها خلال هذا القرن. وجدير بالذكر أن هذا الكتاب الضخم الذي تتضمن صفحاته معلومات موسوعية تم إعداده بإشراف لجنة من الخبراء ترأسها مؤرخ هندوسي مرموق في كيرالا وهو أم. جي. أس. نارايانان، بالإضافة إلى هذا الجانب المهم قد تم تخصيص قسم إكّتاب من غير المسلمين تُعبر فيه عن وجهات نظرهم عن المسلمين وما قدموه من الخدمات الجلية في ثروة ثقافة كيرالا.



### المسلمون في كيرالا: قرن من الإنجازات

تحرير: أيه. بي. كونجامو

اللغة: مالايالام

عدد الصفحات: 1407

سنة النشر: 2021

الناشر: الكلمة للكتب، كوزيكود

### نظام الحياة في الإسلام

المصنف: برفوسور خورشيد أحمد

اللغة: أردو

عدد الصفحات: 216

سنة النشر: 2021

الناشر: المكتلة الإسلامية المركزية، مدينة الجامعة، دلهي الجديد



مؤلف هذا الكتاب أحد قياديين الحركة الإسلامية في باكستان وحاصل على جائزة الملك فيصل للدراسات الاقتصادية الإسلامية. والكتاب من سلسلة الكتب التي تنشر في موضوع النظرية الإسلامية. يحاول المؤلف من خلال صفحات الكتاب تزويد القراء بصورة واضحة بالاختصار عن نظام الحياة في الإسلام بكامل جوانبه فكرة وعملا. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول يتناول أهمية الدين في العصر الحديث، والقسم الثاني يدور حول فلسفة الإسلام في الحياة. وفي القسم الثالث يناقش الكاتب موضوع مكونات نظام الحياة في الإسلام ومميزاتها. والكتاب عموما يركز على خطاب الشباب المسلمين محاولا تعريفهم على المفاهيم الإسلامية مزودا بالدلائل التي تثبت تلك المفاهيم عقلا ونقلا. ويهدف الكتاب إلى حثهم على الخوض في مجال الدعوة مدججين بأسلحة العلوم الدينية والعصرية.